مقدمة لمعرفة

محمد رسول الله ﷺ

- مقدمة لمعرفة محمد رسول الله ﷺ
- الطبعة الأولى ١٠٠٠ / ١٩٩٦

- التنضيد والإخراج الفني: دار المعارف بحمص

مقدمة لمعرفة

محمد رسول الله ﷺ

محمد أمين بن عبد الهادي

الفاروقي

منشـورات
دار المعارف بحمص
✉ 149 ☎ 223184

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ـ وبعد..

هذه مقدمة تحرك العقل والقلب للتطلع نحو حقيقة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لنيل قسط من التعظيم والإجلال لتلك الحضرة العالية لعله يدرك بأن العقول عاجزة عن إدراكها، فإدراك العجز عن الإدراك حظ عظيم من الإدراك، اللهم صل عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فَهُوَ الَّذي تمَّ معناهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفاهُ حَبيباً بارِئُ النَّسَمِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ في الدُّنْيَا حقيقتَهُ قَوْمٌ نيامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بالحُلُمِ

اعلم أن حقيقة الشيء كماله الخاص ومعنى الرجل كماله الذي تم به والرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم قد حاز من الكمال في جميع المجالات مالا يحاط .

مثلاً : إنه عليه الصلاة والسلام الفرد في الشجاعة، الفرد في الجود والسخاء، الفرد في فطنة العقل والتدبير، الفرد في الزهد ، الفرد في العبادة ، الفرد في الإخلاص لله، الفرد في الإخلاص لنصح العباد، الفرد في قوة الثبات، الفرد في الرأفة والرحمة، الفرد في طيب العشرة والمؤانسة، الفرد في الجلادة والتحمل، الفرد في الصبر، واللين والعفو، الفرد في الملاطفة والتواضع. فالناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم يراه حقاً هو الفرد في جميع المحاسن ومعاني الكمال.

إذاً فمن البديهي أن كماله صلى الله عليه وسلم في معناه وحقيقته لا يناط فمثال كمال شخصيته ومعناه صلى الله عليه وسلم مثال دوائر مترتبة يدخل

الناظر في الدائرة القريبة فيحس بسعة لا تسعها الدّائرة، فإن أعلى بنظره دخل في الدائرة الثانية، فبدخوله فيها، وإدراكه لحقائقها تتوسع عليه المدارك بحيث أنه يحس بدائرة أوسع من الدّائرة التي صار فيها، فإن تبصّر أدرك بأن سعة الدائرة أوسع من وسعه .

كالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ   صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

ونحن نريد ـ في هذا البحث ـ الإشارة إلى الدوائر الثلاث إن شاء الله تعالى...

الدائرة الأولى

« البشرية بمنظار العبقريات »

مُحَمَّدٌ بَشَرٌ وَلَيسَ كالبَشَرِ   بَلْ هُوَ ياقوتَةٌ وَالنَّاسُ كَالحَجَرِ

فَإِنْ تَفِقِ الأَنَامُ وأَنتَ مِنْهُمْ   فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ

إن الناظر إلى شخصية سيد البشرية، ونور الإنسانية محمد العربي عليه الصلاة والسلام من هذه الدائرة ليرى من العظمة والعلو والعجائب والغرائب ما يلجئه أن يقول : إن هذه الشخصية ليس من مجال العبقريات، ولا من نوع تكامل الشخصيات، بل إنما هذه الشخصية الخارقة طراز فرد غير اعتيادي، وشخصية لايوازن بالموازين، ولا يقارنه مقارن، ولا يجاري معه في مجاله العبقريات. تماماً كما يقول بيسمارك الالماني : "إن محمداً قدرة ممتازة وإن الوجود رأت محمداً مرة، ولن ترى محمداً ثانياً " [(١)] . إنه يرى حقاً بأن محمداً (ﷺ) هو العلم الفرد

(١) هكذا نقل الاستاذ النورسي رحمه الله في مقدمة كتابه "إشارات الاعجاز في مظان الايجاز" نقلا من مذكرات بيسمارك في مقالة طويلة .

على الأعلام ليكون نبراساً للأنام، يستنير به أولو الأحلام في كل زمان ومكان ومقام، فيستشف من خلال هذا النظر الدائرة الثانية وهي **"دائرة الرسالة"** فيلجأ إن كان متحرراً بعقله عن التقليد والتعصب أن يقول : إن هذه الشخصية الخارقة الفذّة إنما هو صنع خاص، ومختار خاص ، وذو وظيفة خاصة، بكمال خاص . فهو سيد العالمين، ونور المخلصين، وإمام الهداة والمصلحين .

ولا يكون ذلك إلا رسول رب العالمين - ﷺ - فلو أردنا بعض البيان لهذه الحقيقة، فإنا سنخرج عن محور هذه العجالة، فنظرة في سيرته وشمائله العظيمة تكفيك لأن تتحقق بهذه المعرفة .

فقد وقف رجال الفكر من جميع المِلَل والنحل في العصور المتعاقبة مقام الإجلال والتعظيم أمام الشخصية المحمدية ﷺ، وقد أكثر مستشرقوا العصر من شهاداتهم بعظمة شخصية محمد ﷺ وأعماله العظيمة في الإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي والنظام العام والتشريع، فمنهم من أدلى بشهادته من بُعُد، ومنهم من هداه الله بعد المعرفة إلى اعتناق الإسلام والسير على نهج رسول الله ﷺ، فصاروا ممن يدعون إلى الله على بصيرة، والله يهدي من يشاء .

قال الأستاذ محمد أحمد جاد المولى رحمه الله : " إذا تصفحنا سيرة العظماء الذين شاد بذكرهم التاريخ وجدنا أن محمداً عليه الصلاة والسلام أرفعهم ذكراً، وأبقاهم أثراً، فما عهد التاريخ رجلاً من عظمائه قد أهاب بأمة كالعرب ذات بأس وصراخة وحمِيَّةٍ وإباء وذات خيال وتصور، يدعوها أن تخلع نفسها مما هي فيه، وأن تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقاً، وأن تعطيه مع ذلك محض ضمائرها وهم لايرون من أمره ذلك إلا قلة وهواناً واستخفافاً، وإن كانوا قبل ذلك يعرفونه بحسن الخلق، وصفاء الذمة، وطهارة الضمير، ويعرفون أنه لا يريد ملكاً، ولا يبغي شيئاً من عرض الدنيا، بل ﴿ **قالوا قلوبُنَا في أكنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إليْه وفي آذانِنَا وَقْرٌ ومِنْ بيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فاعْمَلْ إنَّنَا عامِلُون** ﴾ فصلت - ٥ -

ثم مع كل هذا لا يداخلهم بالنفاق، ولا يتألفهم على باطلهم، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم دهاء ومخاتلة، كما يصنع دهاة السياسة وقادة الأمم وكما صنع نابليون في مصر : إذ تظاهر بحبه للإسلام، وكما قال : " لو كنت أحكم شعباً يهودياً لأعدت هيكل سليمان عليه السلام" .

أما صاحب الشريعة الاسلامية صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يفعل شيئاً من ذلك : فقد عُرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى رجل واحد يزيد في عدد من معه، فأبى ، وقال : " لا أنتصر بمشرك " . ومع هذا قد اجتمع له ما أراد، وأعطته الأمة العربية عن يد وهي صاغرة للحق، وبذلت له نصرها بعد التخذيل عنه وتعطفت عليه بقلوبها الجامحة ، وهو الراغب عن سنتهم والمسفه لأحلامهم، والطاعن على شرائعهم .

إن نظرة بإمعان في التاريخ تدلنا على أن العظماء يظهرون بين أقوامهم مماشاة لتدرجهم ورقيهم . فإن كان رقيهم في باب الحقائق الفكرية ظهر من بينهم حكيم يضيء لهم السبيل بثاقب فكره وسديد رأيه، وإن كان رقيهم في باب الفتح وبسط الملك ظهر من بينهم فاتح عظيم يقودهم إلى الأقطار المتاخمة والنائية. وكذلك القول في العلماء والشعراء والخطباء وغيرهم من عظماء الرجال الذين يترجمون عن وجهة أقوامهم، فكل عظيم من هؤلاء هو روح عصره، وظهوره جار على سنة النشوء والارتقاء. بيد أن محمداً ﷺ لم يكن جارياً على هذه السنة، بل جاء والعرب قد نزلوا إلى هاوية الانحلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم. فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادىء السياسة، والحياة الاجتماعية، ولم يكن لهم فن يذكر، أو صناعة تنشر، ولم يكونوا يعرفون شيئاً من العلاقات الدولية، وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفز لشن الغارة على جارتها، فلم يكن من المألوف أو المعقول ببيئة كهذه البيئة تتمخض عن هـذا العظيم الذي اجتمع له ما لم يجتمع لمصلح من قبله : لأنه كوَّن أمة ،

وأسّس دولة، وأقام دينا، أمور ثلاثة لم يجتمع لأحد من قبله ولا من بعده. ولايعد ظهور بعض الأفراد النابهين أمثال أكثم بن صيفي دليلاً على صلاحية البيئة العربية لإخراج أكبر المصلحين .

الحق، إن العناية الإلهية القادرة التي تخلق الحُيَيّات في ظلمات البحار هي التي أبرزت هذا الإنسان العظيم، وأمدته بعنايتها، وجعلته نور ينسخ الظلمات جميعها، فيضيء أطراف الأرضين" (١) .

هكذا يصل الناظر إلى الإقرار بأن محمداً ليس شخصياً عبقرياً ، بل إنه ليس إلا رسول الله (وما محمد إلا رسول..) صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم. ثم إن الرسالة وظيفة ربانية يجعلها حيث يشاء، فالناظر حيث إنه أقر بالرسالة فله نظر في الرسالة، وتطلع إلى الرسول ﷺ ، فنظر الرسالة يتوجه إلى ماهية الرسالة التي يبلغها الرسول وحيث أنه وصل إلى هذه الدائرة : الرسالة، فهل يرى الرسول من جسمانيته وشخصيته الظاهرة فقط، ويقصر نظره على هذا الحد فقط ؟ كلا، بل إنه ينفتح له أفق يتطلع فيه إلى شخصية الرسول ﷺ المعنوية، فيرى له ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضائل ومزايا تربو عن حدود العقل والإدراك المادي فيرى كأن وراء الدائرة التي فهمها دائرة أعظم فكأن الرسالة تكون دائرتين : دائرة الرسالة الجسمانية، ودائرة الرسالة الروحانية، وكانت دائرة نظره الأولى العبقرية البشرية .

---

(١) من كتاب "محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل" للاستاذ محمد أحمد جاد المولى ص٢ ـ ٣ .

الدائرة الثانية

« دائرة الرسالة الجسمانية »

نَبِيُّنا الآمِرُ النّاهي فَلا أَحَدٌ   أَبَرَّ في قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ

هذا هو باب معرفة الحقيقة المحمدية عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكى البركات والتحية، فمن عرفه آمن به، ومن لم يؤمن فلأنه لم يعرفه، فبقي محجوباً في الدائرة الأولى ﴿ **وَإذا قرَأْتَ القُرْآنَ جَعلْنا بَيْنَكَ وبَيْنَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرةِ حِجَاباً مَسْتُوراً** ﴾ - الاسراء - ٤٥ ، من الجهل وعمى القلب، فلا يرون حقيقتك القدسية ولا يرون منك إلا الصورة البشرية .

قال العلامة شهاب الدين الآلوسي رحمه الله : " إنما خص ذلك بوقت قراءة القرآن مع أنهم في كل وقت أجهل الخلق به ﷺ ، لأن في ذلك الوقت يظهر إشراق أنوار الصفات عليه عليه الصلاة والسلام، فإذا كانوا محجوبين حين ذاك كانوا في غيره من الأوقات أحجب وأحجب" (١) .

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قالُوا أَبعَثَ اللهُ ، بَشَراً رَسُولاً** ﴾ الإسراء ٩٤ . فأمر الله سبحانه رسوله ﷺ بقوله سبحانه ﴿ **قُلْ سُبْحانَ رَبّي هَلْ كُنتَ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً** ﴾ الاسراء - ٩٣ -

فالذي انحصرت ادراكاته في البشرية الاعتيادية لم يستوعب عقله اتصال الرسول الروحي وعلاَقَته الخاصة بالله سبحانه علاقة الرسالة. فالله سبحانه أعطى العقل ما يكفيه لو يعمل في الاستبصار لحقيقة الرسول، وإنه صاحب خصوصية وذلك من ثلاثة أوجه : شخصيته المثالية، ماهية رسالته وهذان الوجهان يكفيان أرباب العقول الراجحة في معرفة الرسول ﷺ .

(١) تفسير روح العاني - ج ١٥ - ص ١٢٦ .

فلذلك لم يتوقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يتردد في أمر الإيمان أول ما عرض عليه رسول الله ﷺ ويعبر عن ذلك علماء السيرة فيقولون رحمهم الله " إن رسول الله - ﷺ - عرض عليه الإسلام فماعكم عند ذلك، أي ما تردد[1]، وكذلك عندما علم أكتم بن صيفي برسالة رسول الله ﷺ بعد أن رجع ابنه الكبير من عند رسول الله ﷺ، وفهم ماهية الرسالة المحمدية ﷺ أعلن إسلامه، ودعا بني تميم إلى الإسلام، فعارضه مالك بن نويرة فخرج مهاجراً إلى رسول الله ﷺ ، فمات في الطريق حتى قيل : إن قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ النساء - ١٠٠ - نزل فيه [2] .

وعقل الصديق رضي الله عنه هو ذلك العقل الذي ثبت واستقام عند صدمة وفاة رسول الله ﷺ، وما أعقبها من أزمات وأحداث ؛ إنه مع كفاية هذين الوجهين كما قلنا رحم الله سبحانه العباد بأن لم يتركهم في مسؤولية الإيمان بالرسول بذلك فقط، بل رحم سبحانه بأن أظهر المعجزات ، ذلك رحمة بالمؤمنين، وإقامة للحجة على غيرهم - نعوذ بالله - وهذه الدائرة هي « **دائرة الايمان والنجاة** » من الكفر، ثم إنه بعد الايمان بالرسالة هو على محك الإطاعة ألا وهي إسلام الوجه لله سبحانه والاستسلام لرسول الله ﷺ وحكمه .

قال الله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مما قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليماً** ﴾ - النساء - ٦٥ - .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله : قوله تعالى ﴿ **ويسلموا تسليماً** ﴾ أي ينقادوا لأمرك ، ويذعنوا له بظاهرهم وباطنهم كما يشعر به التأكيد ،

---

(١) راجع الروض الانف للسهيلي ج - ١ ص - ٢٨٨ -

(٢) راجع منهاج الطالبين شرح أدب الدنيا والدين م - ٣٢٠ .

ولعل حكم هذه الآية باق إلى يوم القيامة ، وليس مخصوصاً بالذين كانوا في عصر النبي عليه الصلاة والسلام فإن قضاء شرعه عليه الصلاة والسلام قضاؤه .

وقد روى عن الصادق رضي الله عنه أنه قال : " لو أن قوما عبدوا الله تعالى، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصاموا رمضان وحجّوا البيت، ثم قالوا لشيء منعه رسول الله ﷺ : لأصنع خلاف ما صنع ، أو وجدوا في أنفسهم حرجا لكانوا مشركين، ثم تلا هذه الآية". (١)

---

(١) تفسير روح المعاني للآلوسي - ج - ٥ - ص - ٧١ -

الدائـرة الثـالثـة

« دائرة الرسالة الروحانيـة »

فاقَ النَبيينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرمِ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ اليَمِّ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ
أَعيىٰ الوَرىٰ فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرىٰ ... لِلْقُربِ وَالبُعْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَحِمِ
وَكُلُّ آيٍ أَتىٰ الرُسْلُ الكِرامُ بِها ... فَإِنَّما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللّهِ كُلِّهِمِ

وهذه الدائرة حلقتان متداخلتان :

* **الحلقة الأولى : حلقة العلم والعلماء** : وفي هذه الحلقة ثلاثة شعاعات :

ـ الشعاع الأول : فضله ﷺ :

فإنَّ فَضلَ رَسُولِ اللَّهِ ليس لَهُ ... حَدٌ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نٰاطِقٌ بِفَمِ
إذا المكارِمُ في آفاقِنا ذُكِرَتْ ... فَإِنَّمَا بِكَ فِينا يُضْرَبُ المَثَلُ

إن الفضل ذو شعب وأبواب، فكل من حاز شعبة من شعابه أو دخل باباً من أبوابه يعد فاضلاً .

والفضل : صوري، وذاتي، ونفسي، واجتماعي والفضلاء متفاوتون، فيها في إطار القابليات والسنة البشرية إلى حد الطور البشري والاستطاعة العامة والامكانيات للنوع. والراقي فوق ذلك الطور لا يكون إلا بتأثير خارج عن السنة المعهودة، وخارق للعادة المشهودة، فيكون أولئك الأشخاص أدلاء ناطقين لمن بيده أزمة كل شيء ولا يقف حكمه عند السنن ولا تتقيد إرادته ومواهبه بالأطوار، ذلكم

هم خاصة الله سبحانه الذين جعلهم أنواراً للبشرية وهداة للبرية فهم ـ ولا شك ـ أعظم الناس وأفضل البشر، فهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فتلك الفضائل الخارقة الخارجة عن الحدود والسنن هي مواهب ربانية، وهي تهيّئهم لأن ينالوا من القدسية مقاما أعلى من قدسية الملائكة عليهم السلام، فيستعدون بها لأن يتلقوا من الحضرة الإلهية سبحانه مع ما بهم من البشرية، فيبلغوا بني جنسهم ما تلقوه من حضرة السبوح القدوس رب الملائكة والروح فهم عامّةً أفضلُ من الملائكة، فأين فضلاء البشر الذين لم ينالوا فضلا إلا بأشعة أنوار فضائلهم، ولم يهتدوا إلى خير إلا بهديهم وارشادهم، فهم الذين بنورهم تنورت العقول وتفتحت البصائر، فهم كالشمس في بث النور. فأي ادعاء لنور ذاتي للعقل جهلٌ وغرور وضياع، وذلك وقعة أهل الاعتزال .

ثم التفاضل بين الذين أوتوا النبوة والرسالة وهم الرسل، والذين أوتوا النبوة فقط وهم الانبياء الذين لم يكونوا مرسلين :

فمعلوم أن الرسول أفضل من النبي الغير الرسول. أما التفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام : فأولو العزم هم أفضل من بقية الرسل عليهم جميعاً الصلاة والسلام وأولو العزم هم المذكورون في هذا البيت، وترتيبهم في الفضل كترتيب البيت :

مُحَمَّدُ ابراهِيمُ مُوسىٰ كَلِيمُهُ فعيسىٰ فَنوحٌ هُمْ أولُو العَزْمِ فَاعْلَمِ

فابراهيم عليه الصلاة والسلام : أعلن التوحيد، ودعا إلى الإيمان وقام في وجه الطاغية "نمرود" لعنه الله، وصدع بالحق وجعل أصنامهم جذاذا غير مكترث بالعواقب ثم بعد ذلك أعلن على الملأ عارهم وعوارهم بأن اتخذوا الأحجار آلهة وأنها لو كان فيها نفع ودفاع لنفعت أنفسها ودافعت .

ثم إنه أقبل على النار المؤججة بقلب مطمئن وصدر رحب بكمال الرضا

والتوكل المطلق من غير مبالاة، ودون أي التفات. تلك العظمة، والمقامات والمنازل العالية لا يمكن نيلها إلا في رحاب ذلك التوحيد الإبراهيمي عليه الصلاة والسلام .

كذلك نراه في تنفيذ التكاليف والأوامر الإلهية :

إنه استقام استقامة لا يمكن أن تطيقها الطاقة البشرية بموجب السنن البشرية. ذلك : مثل إلقائه أهله وولده الرضيع بِوادٍ غير ذي يين الأخشاب والمهالك ليس حولهم إلا الشواهق السود المقتمة. ألقا من دون تزعزع في مقام ذلك التوكل المطلق، ثم اضجاعه ذلك الولد الغض ليقوم بذبحه عملياً بيده إطاعة للأمر الذي تلقاه من حضرة الحق سبحانه وتعالى فها هو قد أثبت بعمله حق الاثبات بأنه لامحبوب له إلا الله سبحانه، وإن حبه سبحانه قد ملك كل مشاعره وأحاسيسه وتخلخل في روحه وجسده ﷺ، إنه بحق قد أوتي من العزم مالا يقدر قدره ولكن إن قورنت بجلل أعمال وجهد جهاد أفضل أولي العزم المنتخبين وسيد المرسلين عليه صلوات الله والملائكة والناس أجمعين .

جهاده ومواقعه، ونتائجه وانتاجه، بالعمل الدائب والجهد المستمر، بحدة ونشاط لا يفتر ولا يلين، بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالسيف والسنان، بنفسه وخاصته وصحابته مع تحمل مالا يمكن أن يتحمله سواه، وكل ذلك بدوام الاستمرار على أكمل وجه في جميع عمره ﷺ تلك المواقف التي جعلت الحياة كلها عليه كنار إبراهيم بلا برد ولا سلام، فكم وكم رأى ما رأى، ولم يزد على قوله ﷺ : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة وقوله عليه الصلاة والسلام : **أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**

يا لها من مواقع ومشاهد دالت ودأب عليها بتلك الحدة والشدة التي هي من مقومات القيادة، مع مثلها من ضدها من اللين والرفق والرحمة والرأفة، ومع مثل

ذلك كذلك في معالجة النفوس بلذاذة المنطق وحلاوة التبسم، وجوامع الكلم وحسن الأداء، مع التأثير الشخصي والجاذبية الإرشادية، وتكوين الشخصيات ووو.... مما لا تعد ولا تحصى، ولا تقدر قدرها من الكمالات والفضائل ولا يمكن جمعها أو حيازتها إلا لمن اختاره الله سبحانه أن يكون سيد الكائنات ورسول الثقلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وهكذا فتبصر لمقارنته مع موسى عليه وعليه الصلاة والسلام فأين من يقارع بسيفه ومن يلقي عصاه، ويكون من المتفرجين، وترشح فضله عليه الصلاة والسلام على أمته فكانت خير أمة أخرجت للناس، وهكذا فانظر في أولئك الذين قالوا لموسى عليه السلام ﴿ **اذهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ والذين قالوا لمحمد ﷺ : لو خضت هذا البحر لخضنا معك، فسر على بركة الله تعالى. ونعم ما قال الإمام شرف الدين البوصيري رحمه الله :

لَمَّا دَعَا اللَّهُ داعِينا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

الخلاصة : ماذا تقول ؟ فمن خصه الله تعالى بالمحامد والمآثر، وقام له الألوية والرايات والمنابر، وفضّله على خاصته وأحبابه وأثنى عليه في غير موضع من كتابه، أدّبه فأحسن تأديبه، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وجعله على خلق عظيم، مع أحسن صورة وأجمل تقويم، أرشده إلى حل كل مشكل ومبهم، وأنزل عليه السبع المثاني والقرآن العظيم، ورفعه إلى أعلى المقام للمناجاة والتكليم وكلأه بعنايته، وشمله برعايته، أبقى معجزاته مع دوام رسالته، وفتح أبصاراً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفا ؟!!

فأين إحياء تلك الأمة في الظلمة البهيم من إحياء العظام وهي رميم ؟، بل إن هذا أعظم وأجل، وليس كلاهما إلا من قدرة العزيز الحكيم، فصارت أمته أعلى الأمم اللّهم صل عليه وآله صلاة ترضيك وتُرضيهِ وتَرْضى بها عنا يا رب العالمين.

ـ الشعاع الثاني : رسـالـته ﷺ :

دَعَا إِلىٰ اللّهِ فَالمسْتَمْسِكُونَ بِهِ   مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

هو ﷺ مرسل إلى البشر كافة إلى نهاية الدنيا، رسالته أبدية ولا نبي بعده، ودينه نسخ جميع الأديان، وهو حكمه باق مدى الزمان، وهو عليه الصلاة والسلام مرسل إلى الجن كذلك ورسالته إلى الجن من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فيكفر منكر رسالته إلى الجن؛ إنه عليه الصلاة والسلام حيث صح فيه المناسبة المصححة للاجتماع مع الملك والتلقي منه صح فيه المناسبة المصححة للاجتماع مع الجن والالقاء إليهم، وقد وردت رسالته اليهم وتلقيهم منه عليه الصلاة والسلام في القرآن والسنة الصحيحة. كيف لا يكون عنده القابلية العامة وهو آية الله الكبرى والنسخة الجامعة ؟

أما رسالته ﷺ إلى الملائكة : فقد ذهب إلى إثباتها من الشافعية تقي الدين السبكي، والبازري، والجلال المحلي في خصائصه، ومن الحنابلة ابن تيمية، وابن مفلح في كتاب الفروع ومن المالكيـة عبد الحق، وقال مثل قول ابن تيمية : لا نزاع بين العلماء في جنس تكليفهم بالأمر والنهي .

وقال إبراهيم اللقاني : لا شك في ثبوت أصل تكليف الملائكة بالطاعات العملية في حقهم، وأما نحو الإيمان : فهو فيهم ضروري ـ أي إنه عندهم بديهي وفطري ـ فيستحيل تكليفهم به .

وأنكر بعض العلماء من مختلف المذاهب إرساله عليه الصلاة والسلام إلى الملائكة عليهم السلام .

وقـال العلامـة أبـو الفضـل شهـاب الدين الآلوسي رحمه الله : صريح آية : ﴿ لِيَكُونَ للعَـالمِينَ نَذيراً ﴾ الفرقان ـ ١ ـ

إذ العالم ما سوى الله تعالى وصفاته، وخبر مسلم ﴿ **أرسلت إلى الخلق كافة** ﴾ مؤيد للمذهب الأول (١) .

هكذا شمول رسالته ﷺ، ومتى ما صدت البشرية عن السير على شريعتها، وعن التنور بأنوارها فإنها صدت من السعادة إلى الشقاء، فإنه الرحمة للعالمين، فالمتوجه إليه متوجه إلى الرحمة ومن أبى فقد أوى إلى الشقاء والعناء في الدنيا والآخرة .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ـ الأنبياء ـ ١٠٧ ـ : " كونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار أنه ﷺ واسطة الفيض الالهي على الممكنات على حسب القوابل، ولذا كان نوره أول المخلوقات ففي الخبر " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" وجاء "الله تعالى المعطي وأنا القاسم" وللصوفية قدست أسرارهم في هذا الفصل كلام فوق ذلك ـ ثم نقل رحمه الله عن ابن القيم رحمه الله فقال : "وفي "مفتاح دار السعادة" لابن القيم : إنه لولا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة ولا عمل صالح، ولا صلاح في معيشة، ولا قوام لمملكة، ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب التي يعدو بعضها على بعض، وكل خير في العالم جسد: روحه النبوة، ولا قيام للجسد بدون روحه، ولهذا إذا انكسفت شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البتة انشقت سماؤه وانتثرت كواكبه وكورت شمسه وخسف قمره، ونسفت جباله وزلزلت أرضه وأهلك من عليها، فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة" آ هـ (٢) لقد دب الإحساس بالخطر في العقل الإنساني من آثار البعد عن شمس النبوة، وظهور شبح الإلحاد، فقام المفكرون هنا وهناك ينادون بالثبور، ويؤشرون بمؤشرات خطر الزوال في حين أَنْ بَلَغَ الرقي المادي إلى الأوج، ولا يزال المد الصناعي في التقدم والزيادة والازدهار .

---

(١) أن أردت التفصيل راجع تفسير روح المعاني ـ ج ـ ١٥ ـ ص ١٧٣ .

(٢) تفسير روح المعاني ـ ج ـ ١٧ ـ ص ١٠٠ .

فمن تلك النداءات قول " كريسي موريسون " رئيس أكاديمية "نيويورك" سابقاً : " الإلحاد نوع من الأنانية حيث يجلس الإنسان على كرسي الله. لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين. سوف يتحول النظام إلى فوضى. سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك. سوف يتفشى الشر في كل مكان. إنها لحاجة ملحة أن نقوي صلتنا وعلاقتنا بالله." (١)

وفي الحقيقة : هذا المظهر الذي يتكلم عنه "موريسون" هو الذي حذر عنه ابن قيم الجوزية رحمه الله .

وتمثل للفقير مثال دنيانا المعاصرة المادية بمشهد كأن الكرة الأرضية مجموعة آلية، وفيها حية سوداء رأسها مقبض في الأسفل بين الحدائد وهي تحرك بنفسها للخلاص وذيلها بحركتها تعلو إلى مافوق الكرة، فقلت في أبيات أنشدتها حينذاك أي في شهر شعبان عام ١٣٨٣ هـ :

نِيَامٌ بِنَوْمِ الأَسْوَدِ المُتَفَاحِمِ ... يُرِيدُونَ تَنويمَ رَفيقَ البَصِيرةِ
فَلا نَوْمَ لكنَّ الغُرورَ أَماتَهُمْ ... فَلا هُمْ يَرَوْنَ شِبْهَ مِثْلُ الحَقيقَةِ
بِطَقْطاقِ مِطْراقِ الصِّناعَةِ للهَوَى ... بِإعجابِ مَكْرِ البَيْنِ بِاسْمِ السِّياسَةِ
أَحالُوا الْوُجُودَ في القُدُورِ الْقَمَاقِمِ ... بِتوقيدِ نَارِ الذَّرَّةِ مِثْلُ ذَرَّةِ
هُمُ الْحَيَّةُ والرَّأسُ مِنْهَا مُقَبَّضٌ ... بِقَبْضِ الْحَديدِ وَهيَ في حالِ سُكْرَةِ
وَتَرْمي بِذَيْلٍ لِلْخَلاصِ إلىٰ القَمَرْ ... كَذاكَ الْمَريخِ يُسْرَةً بعد يُمْنَةِ
إلىٰ اللّهِ رَبِ الْكَوْنِ تَحْويلُ سِرِّ بِنَا ... رَجَانا مِنَ المَوْلىٰ جِهازُ الشَّريعةِ
صِوانٌ مِنَ الفِتْنَاتِ ربي رجاؤنا ... إلهي صِوانُكَ خَيْرُ فَضْلٍ ومِنْحَةِ

فنقول : اللهم بك منك إليك وعليك، ولاحول ولا قوة إلا بك .

---

(١) من آخر كتاب "الإسلام يتحدى" للأستاذ وحيد الدين الهندي .

ـ الشعاع الثالث : الكلام في كون روحه ﷺ أول مخلوق خلقه الله .

قال النابلسي رحمه الله :

طّه النبي تكونت من نوره كل الخليقة ثم لو ترك القطا

هكذا تتنور الآفاق على الموفق لاستشراف دائرة الولاية والأولياء التي هي الحلقة الثانية، ويعلم الناظر من هنا بأن عقله وفكره وإدراكه لا تسع سعة العظمة المصطفوية ﷺ، فإن وافقته العناية تمثل قول القائل :

إذا لم تـر الـهـلال فـسـلـم لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

قال القاضي عياض رحمه الله : عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : "وآدم بين الروح والجسد" (١) .

وقال : عن عرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول "إني عبد الله وخاتم الأنبياء وآدم لمنجدل في طينته" (٢) وقال العلامة شهاب الدين الآلوسي رحمه الله نقل ابن حجر الهيتمي عن الإمام السبكي رحمهما الله كلاماً في حديث "كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد" حاصله : إن حقيقته عليه الصلاة والسلام قد تكون من قبل آدم أتاها الله النبوة بأن خلقها مهيأة لها وأفاضها عليها من ذلك الوقت وصار نبياً " (٣) .

وقال القاضي عياض في فصل تشريف الله تعالى إياه ﷺ بما سماه من أسمائه

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للإمام القاضي عياض - ج - ١ - ص ١٦٦ .

(٢) الشفاء ج - ١ - ص ١٧١ -

(٣) تفسير روح المعاني - ج - ٢٢ - ص ٣٤ -

الحسنى، ووصفه به من صفاته العلى : "المبدىء" "المقدم في الأنبياء والخاتم لهم، كما قال ﷺ" كنت أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث" (١) .

وفي حاشية العلامة علاء الدين العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع : "في الفرائد لابن كمال باشا" : إن روح محمد ﷺ أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود، وأول شيء تعلقت به القدرة، شرفه تشريف اضافته إلى نفسه تعالى ثم حين أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه، وهو روح النبي ﷺ، فهو أبو الأرواح كما أن آدم عليه السلام أبو الأشخاص، وهذا أحد أسرار قوله عليه الصلاة والسلام : « آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة » (٢) .

وأخرج ابن أبي عاصم والضياء في المختارة عن أبي بن كعب مرفوعاً "بدىء بي الخلق وكنت آخرهم في البعث" (٣) .

وقال الآلوسي رحمه الله. صرح بذلك أي كون العالم كله مخلوقا من نوره ﷺ الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره في قوله ، وقد تقدم غير مرة ـ أي في الآلوسي :

طه النبي تكونت من نوره　　　كل الخليقة ثم لو ترك القطا

ثم قال رحمه الله : وأشار بقوله " لو ترك القطا " إلى أن الجميع من نوره عليه الصلاة والسلام ووجه الانقسام إلى المؤمن والكافر بعد تكونه فتأمل" (٤) .

---

(١) الشفاء ـ ج ـ ١ ـ ص ـ ١٣٩ ـ

(٢) حاشية العطار ـ ج ـ ٢ ـ ص ـ ٤٧٤ ـ

(٣) من تفسير الآلوسي الشهير ـ ج ـ ٢١ ـ ص ١٥٤ ـ

(٤) تفسير روح المعاني ـ ج ـ ١٧ ـ ص ـ ١٠٩ .

وقال الآلوسي رحمه الله في تفسير قوله تعالى وأنا أول المسلمين : " قيل : هذا إشارة إلى قوله عليه الصلاة و السلام " أول ماخلق الله تعالى نوري "[(١)] .

والمتبع لِأَسفار العلماء الأعلام يجد ما يلزم الاستسلام والتصديق، وفضل رسول الله ﷺ لاحد له ونرى أنَّ ما نَقَلنَاهُ فيه الكفاية والله سبحانه ولي الهداية .

الحلقة الثانية حلقة الولاية والأولياء :

أُسائِلُ عَنْ أَوْطانِ غرِّ المَعارِفِ ... وَأَنْشُدُ عَنْ ذاكَ الحِمَىٰ كُلَّ عارِفِ

يُخَبِّرُ عَنْ تِلْكَ الدِّيارِ وأَهْلِها ... وَحُسْنِ مِلاحٍ في الخِيامِ عَواكِفِ

فإنْ شاهَدَتْ عَيْنَايَ يَوْماً خِيامَها ... وَغالي جَمالٍ للْمُحبينَ شاغِفِ

سَأَكْشِفُ عَنْ زاهي جَمالِ مَعَارِفٍ ... قِناعَ مَليحاتِ الْمَعاني اللَّطائِفِ

وَما لَيْسَ مِنْ أَسْرارِ عِزَةَ يَنْبَغي ... لِمَأْمُونِهِ كَشْفُ فَلَسْتُ بِكاشِفِ

هذه الحلقة كذلك فيها ثلاث شعاعات :

* الشعاع الأول في بيان الولاية :

الوليّ ضد العدوّ، ولذلك فسر بالمحب الناصر. والولاية بالكسر : النصرة، وإذا قصد بالولي المحب ضد العدوّ تكون الولاية، بمعنى المحبة. والولي يطلق على المالك والمملوك كما أن المولى يطلق على المُعْتِق والمُعْتَق .

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلىٰ النُّورِ ﴾.
البقرة - ٢٥٧ -

---

(١) من تفسير الآلوسي - ج - ٨ - ص ٧١ -

وقال : ﴿ ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. يونس - ٦٢ -

والولاية صلة بين العبد وربه. يتصف الرب سبحانه بولايته لمن يواليه بصفات الربوبية من الهداية والعناية والحفظ، كما أن العبد يتصف بولايته لربه بالاهتداء إليه بالإيمان، وأداء ما فرضه عليه، وبالسير والمجاهدة لنيل محبة مولاه برعايته وعنايته، وبالوصول إلى بَرْدِ اليقين وحلاوة الرضا، والتوكل المطلق بالاستغراق في أنوار الوحدة مما يزيد من لوامع التوحيد، وبحفظه إياه مما يكدر عليه صفاء نور القرب حتى لا يزحزح من صفوف الأحباب .

تلك هي مراتب العبد من البداية والوسط والنهاية أو إذا شئت فقل كما اصطلح القوم رضي الله عنهم : من مقام الإسلام والإيمان والإحسان، أو كما يقولون : الشريعة والطريقة والحقيقة .

فالمؤمن : ولي لله سبحانه، وهو سبحانه وتعالى وليه ولكن الولاية تختلف حسب مراتب العبد .

قال الله تعالى : ﴿ أَلا إنَّ أَوْلياءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُم يَحْزَنُونَ. الَّذينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ البُشْرى في الحَـيَـاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ ذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ يونس - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله : الآية ظاهرة في أن الأولياء هم المؤمنون المتقون وأقل ما يكفي في إطلاق الولي : التقرب إليه سبحانه بالفرائض من امتثال الأوامر واجتناب الزواجر، والأكمل : التقرب إليه جل شأنه بكل ما يمكن من القرب .

ولا شك أن البشر متفاوتون حسب استعدادهم، فكما أنهم يتفاضلون في مراتب الإيمان بناء على القول الأصح من أن الإيمـان يزيـد وينقص، فكذلك بلا شك في

مراتب التقوى، بل هذا متفق عليه. وقد جعل ـ كما قال العلامة الآلوسي رحمه الله ـ: التقوى هنا ما في قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾. آل عمران ـ ١٠٢ـ.

وفسرت بتنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الحق، والتبتل إليه بالكلية، وبذلك يحصل الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه إطلاق الاسم هـ .

وقال رحمه الله : وفي (المبين المعين) : "الولي : هو من يتولى الله بذاته أمره فلا تصرف له أصلا، إذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف. والتركيب يدل على القرب فكأنه قريب منه عز وجل، لاستدامة عبادته واستقامة طاعته، أولإستغراقه في بحر معرفته ومشاهدة طلعة عظمته" انتهى .

وعن القشيري : أن كلا الوصفين : تولي الله تعالى أمره، وتوليه عبادة الله تعالى وطاعته شرط في الولاية، غير أن الوصف الأول غالب على المجذوب المراد، والثاني على السالك المريد" [1] .

وإنك لو دققت النظر ترى أن التمهيد الذي قدمنا شامل. وما أحسن ما قال المحقق الألوسي رحمه الله : "وبالجملة : متى رأينا الشخص مؤمناً متقياً حكمنا عليه بالولاية نظراً لظاهر الحال ووجب علينا معاملته بما هو أهله من التوقير والاحترام غير غالين فيه... إلى أن قال رحمه الله : ولا يشترط فيه صدور كرامة على يده كما يشترط في الرسول صدور معجزة ويكفيه الاستقامة كرامة، كما يدل عليه ما اشتهر من أبي يزيد قدس سره [2] هذا حسب المفهوم العام، ولكن كما يقال إن الشيء إذا أطلق يراد منه الفرد الكامل، فهو : الواصل المتمكن الذي يشير إليه ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

(١) راجع تفسير روح المعاني ـ ج ـ ١١ ـ ص ١٤٧ .

(٢) تفسير الآلوسي ـ ج ـ ١١ ـ ص ١٧٩ .

قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ......" الحديث.

والتعبيرات المُصْطَفويَّة النبوية ﷺ مثل ثمار الجنة قطوفها دانية للكل مع اختلاف مقاماتهم ومنازلهم فكل يأخذ من قريب ما يكفيه ويزيد .

فقد قال البعض في معنى الشرطية : فإذا أُحببته كنت حافظ حواسه وجوارحه، فلا يسمع ولا يبصر ولا يأخذ ولا يمشي إلا فيما أرضى وأحب وينقلع من الشهوات، ويستغرق في الطاعات .

وقال آخر من الأجلة : المراد من ذلك توفيقه للأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، يعني ييسر عليه فيها سبيل ما يحبه، ويعصمه عن موافقة ما يكرهه : من إصغاء إلى لهو يسمعه، ونظر إلى ما نهي عنه ببصره وبطش بما لا يحل بيده، وسعي في باطل برجله .

وقال آخر : المعنى أجعل سلطان حبي غالباً عليه حتى أسلب عنه الاهتمام بشيء غير ما يقربه إلي، فيصير متخلياً عن اللذات متجنباً عن الشهوات متى ما يتقلب وأينما يتوجه لقي الله تعالى بمرأى فيه ومسمع منه ويأخذ حب الله تعالى مجامع قلبه، فلا يسمع ولا يرى، ولا يفعل إلا ما يحبه، ويكون له في ذلك عوناً ومؤيداً ووكيلاً يحمي جوارحه وحواسه" (١) .

ووسع شيخ الإسلام الإمام القدوة الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في كتابه "الغنية" في بحث المريد والمراد ببيان مسهب في صفات رجال الله

---

(١) ذكر الآلوسي رحمه الله هذين القولين في تفسيره - ج - ١١ - ص - ١٤٩ -

سبحانه بدءاً من الإرادة حتى يكون مريداً ثم مراداً. فقال في آخر تلك الأوصاف المباركة : "فيسمع من الله، ويبصر بالله، وينام مع طاعة الله وذكر الله في كلاءة الله وحرز الله، فيكون من أمناء الله وشهدائه، وأوتاد أرضه ومنجى عباده وبلاده وأحبائه وأخلائه. ثم ذكر رضي الله عنه حديث "لا يزال عبدي.. الحديث بالمعنى. ثم قال : فهذا عبد حمل عقله العقل الأكبر وسكنت حركاته الشهوانية لقبضة الحق عز وجل، فصار قلبه خزانة الله عز وجل... إلى آخر ما قال رضي الله عنه". (١)

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه بعد أن ذكر الحديث القدسي "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . الحديث . فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين .

وإذا انكشف للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه....... إلى أن قال : رحمه الله .

وفي وصف هؤلاء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل ـ وذكر الحديث الطويل بطوله ـ..... ومما ورد في ذلك الحديث :

" اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه، ثم لا يخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهر مكشوف، وإما خائف مقهور، وأمثالهم في القلوب موجودة، يحفظ الله بهم حجته حتى يودعوها من وراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين، فاستلانوا

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل ـ ج ـ ٢ ـ ص ١٣٨ ـ .

ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى، أولئك أولياء الله عز وجل... إلى آخر الحديث [1] وقد أورد العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله حديث باب مدينة العلم رضي الله تعالى عنه هذا في كتابه "مفتاح دار السعادة" وشرحه شرحاً وافياً كافياً، وإن شئت فراجع [2] .

يقول الفقير : هؤلاء الأولياء الذين هم حجة الله سبحانه على خليقته الذين جعل سبحانه وتعالى قلوبهم منابع العلوم والمعارف هم الفرد الكامل الذين يقصدون بـ "أولياء الله" عند الإطلاق، وقد تظهر الكرامات على أيدي من دونهم كما أنها قد تظهر على أيديهم، ولكن الكرامة الحقيقة العظمى التي لهم هي الكرامة التي لا توازيها كرامة، وتلك هي من آثار حب الله سبحانه لهم، وحبهم له سبحانه قال الشيخ الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :

" من أحب الله لم يستعمل جوارحه إلا فيما يوافق محبوبه، وأنفاسه كلها محفوظة بالطاعة، ولو حيل بينه وبين الطاعة لفارق الدنيا من ساعته، لأن الطاعة قد صارت غذاء أرواحهم، فإن فارقوها ماتوا" [3] .

هذا الحفظ هو كرامتهم، ومع ذلك فالمنحة العظمى والسمة الوضاء لهذه الطبقة : هي فيض المعرفة، إذ المعرفة هي أساس جميع الكمالات، وهي منبع الخشية. قال رسول الله ﷺ "أعرفكم بالله أخشاكم منه، وأنا أخشاكم منه" وكذلك هي باب المحبة إذ المحبة إنما تكون بقدر المعرفة .

---

(١) أحياء علوم الدين - ج - ١ - ص - ٧١ - ٧٢ -

(٢) مفتاح دار السعادة - ج - ١ - ص ١٢٣ -

(٣) ايقاظ الهمم في شرح الحكم للعارف ابن عجيبة - ص ٣٥٨ -

وإن أردت البسط في بحث الولاية والأولياء وكراماتهم فراجع "الفتاوي الحديثية" لشيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي رحمه الله [١] .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله : "إن في قوله تعالى : ﴿ **وَما ظَنُّ الَّذينَ يَفْتَرونَ**... الآية [٢] : إشارة إلى سوء حال المنكرين على من تحلى بالمعارف الالهية، ولعل منشأ ذلك : زعمهم إنحصار العلم فيما عندهم، ولم يعلموا أن وراء علومهم علوماً لا تحصى يمن الله تعالى بها على من يشاء، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ رَبِ زِدْني عِلْماً** ﴾ [٣] إشارة إلى ذلك، فما أولاهم أن يقال لهم ﴿ **ما أُوتيتُم مِنَ العِلْمِ إلا قَليلاً** ﴾ [٤] ثم بعد بيان مسهب قال رحمه الله : "وأي مانع من أن يخلق الله تعالى العلم فيمن صفت نفسه وتهيأت بالفقر واللجأ إلى الله تعالى، وصدق عزمه في الأخذ، ولم يتكل على حوله وقوته كما يخلق فيمن استوفى شروط الاجتهاد ؟.... إلى قوله : والقول بأن الله تعالى يخلق العلم في هذا دون ذاك حجر على الله تعالى، وخروج عن الانصاف كما لا يخفى، فلا ينبغي للمنصف العارف بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده إلا أن يسلم لمن ظهرت فيه آثار التصفية والتهيء، وسطعت عليه أنوار التخلق بالخلق الرباني ما أتى به ولو لم يأت به مجتهد ما لم يخالف ما علم مجيئه من الدين بالضرورة ويأبى الله تعالى أن يأتي ذلك بمثل ما ذكر، لكن ذكر مولانا الإمام الرباني ومجدد الألف الثاني - قدس سره - في بعض مكتوباته الفارسية :

إنه لا يجوز تقليد أهل الكشف في كشفهم، لأن الكشف لا يكون حجة على

---

(١) الفتاوي الحديثية من صفحة - ٢١٨ - إلى - ٢٢٠ -

(٢) - يونس - ٦٠ -

(٣) - طه - ١١٤ -

(٤) - الإسراء - ٨٥ -

الغير وملزما له، وقد يقال : ليس النزاع في منع تقليد أهل الكشف، بل محل النزاع : الانكار عليهم ورميهم - والعياذ بالله تعالى - بالزندقة [١] .

قلت : لكي تكون على بصيرة من الأمر، وتعلم علم يقين بأن أئمة العلم لم يبجلوا أولئك النورانيين إلا عن علم وبصيرة ننقل لمعة من أقوالهم لتعلم مدى تقيدهم بالكتاب المبين وسنة سيد المرسلين، واقتفائهم آثار أصحابه الطيبين الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

وليس ذلك بخفي على أدنى منصف له أدنى إلمام بتتبع كتبهم وآثارهم لأنه سهل عليه التحقق بأن يعلم كما علمنا، وأنشدنا :

طَريقُهُمُ السُّنَّة وَذاعَيْنُ شِرْعَةٍ   أَتانا بِها خَيْرُ جَميعِ البَرِيَّةِ

وأن يقول كما قلنا :

فَخُذْها بِإيمانٍ وَصِدْقٍ مَحَبَةٍ   تَنَلْ شاهِقَ العَلْياءِ عِنْدَ الأَحِبَّةِ

إن مما هو المشهور من كلام سيد الطائفة الجنيد بن محمد رضي الله عنه : "إن النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف، فلا أقبل إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة" [٢] .

وقوله : " عِلْمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة "، وقوله : " مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة"، وقوله : " الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ" [٣] وقوله : "لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضر فضل الوجد مع نقصان العلم [٤]. طلب رجل من إمامِ طريقتنا سيدي القطب عبد

(١) تفسير روح المعاني - ج - ١١ - ص ١٧٧ -

(٢) ايقاظ الهمم - ص - ٢١٦ -

(٣) نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية تأليف اليافعي المتوفى ت ٧٦٨ هـ .

(٤) جامع أصول الأولياء للعارف الكمخشاني ص ١٢٤ .

السلام بن مشيش شيخ الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، صاحب الصلاة المشيشية التي تلقتها أئمة العلم والعارفون من شتى المشارب بالقبول واتخذوها من الأوراد التي يواظبون عليها (١) قال ذلك الطالب للشيخ رضي الله عنه : " وظف علي وظائف وأوراداً " فغضب وقال له :" أرسول أنا فأوجب الواجبات ؟!! الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة، واحفظ قلبك عن إرادة الدنيا وحب النساء ومن الجاه وإيثار الشهوات، واقنع في ذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضا وهو جماله تعالى فكن لله فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط وهو جلاله، فكن عليه صابراً، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لجميع الكرامات، وحِصْنُ ذلك كله أربعة : صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، ومحبة العلم، ولا يتم ذلك إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح" (٢) .

وورد في وصية سيدي الشيخ عبد الخالق الغجدواني من كبار أئمة السادة النقشبندية قدست أسرارهم لتلميذه الشيخ أوليا الكبير رحمه الله : "يا بني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله، واتباع آثار السلف الصالح، ولازم السنة والجماعة، واقرأ الفقه والحديث والتفسير، واجتنب الصوفية الجاهلين، ولازم الصلاة بالجماعة..، ولا تصحب الملوك وأبناءهم، والمرد، والنساء، والمبتدعة والعوام" (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله "موّت النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة" (٤) وكان يقول : " إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة

---

(١) ذكر العلامة الآلوسي سند إجازته بالصلاة المشيشية في تفسيره ج ـ ١٥ ـ ص ـ ٣٢٧ ـ فإن شئت فراجع .

(٢) ايقاظ الهمم في شرح الحكم هـ ـ ٢١٦ ـ .

(٣) راجع الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية للأستاذ عبد المجيد الخاني .

(٤) جامع أصول الأولياء العارف الكمشخاني ص ـ ١٢٣ ـ

فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام" [١] .

ونقل العلامة الآلوسي رحمه الله من كلام الشيخ الأكبر في الفتوحات قوله :

على السمع عولنا فكنا أولي النهى ... ولا علم فيما لا يكون مع السمع

وقوله فيها كذلك :

كَيفَ لِلْعَقْلِ دَليلٌ وَالَّذي ... قَدْ بَنَاه العَقْلَ بِالكَشْفِ انْهَدَمْ
فَنَجاةُ النَّفْسِ في الشَّرْعِ فَلا ... تَكُ إنْسَانًا رَأى ثُمَّ حُرِمْ
واعْتَصِمِ بالشَّرْعِ في الكَشْفِ فَقَدْ ... فَازَ بِالْخَيرِ عُبَيْدٌ قَدْ عُصِمْ
أَهْمِلِ الْفِكْرَ فَلا تَحْفَلْ بِهِ ... واتْرُكْنَهُ مِثْلَ لَحْمٍ في وَضَمْ
إنَّ لِلفِكْرِ مَقاماً فَاعتضِدْ ... بِهِ فيهِ تَكُ شَخْصاً قَدْ رُحِمْ
كُلُّ عِلْمٍ يَشْهَدُ الشَّرْعُ لَهُ ... هُوَ عِلمٌ فبهِ فَلْتَعْتَصِمْ
وَإذا خالَفَهُ الْعَقْلُ فَقُلْ ... طَوْرَكَ الْزِمْ ما لَكُمْ فيهِ قَدَمْ [٢]

وقال العلامة عارف زمانه سيدي بديع الزمان النورسي رضي الله عنه في التلويحات التسعة من كتابه " أنوار الحقيقة " :

« الولاية حجة للرسالة، والطريقة حجة للشريعة، لأن الحقائق الإيمانية التي بلغتها الرسالة تراها الولاية بعين اليقين بواسطة نوع من الشهود القلبي والذوق الروحي وتصدقها، فتصديقها حجة قطعية لحقانية الرسالة، ولأنه تنكشف

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ـ ص ـ ٢١٦ ـ

(٢) تفسر روح المعاني ـ ج ـ ١ ـ ص ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ

حقائق الأحكام الشرعية وحَقِّيَّتُها، وكونها من الذات الأُقدس جل شأنه بما يستفاد ويستفاض من الطريقة بالذوق الصحيح والكشف الصادق، فبذلك تكون الطريقة برهاناً باهراً للشريعة » هذه هي الولاية... اللهم إنا نعوذ بك من الوقيعة والمعاداة مع أوليائك فنستحق حربك ومقتك. اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغنا حبك. اللهم اجعَل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد، وانصرنا على أعدائك أعداء أوليائك .

*** الشعاع الثاني : لمحة من كلام للأولياء في الحقيقة المحمدية ﷺ :**

مِرآةُ مَغنى الحُسْنِ مَظْهَرُ ما عَلا　　　مَجْلى الكَمالِ عُذَّيْبُ اليَنْبُوعِ
قُطْبٌ عَلى فَلَكِ المحَاسِنِ شَمْسُهُ　　　لا آفِلاً ما زالَ ذا تُطْلُوعِ
كُلُّ الكَمالِ عِبارةٌ عَنْ خَرْدَلٍ　　　مُتَفَرِّعٍ عَنْ حُسْنِهِ المجمُوعِ

قال العلامة الآلوسي رحمه الله : أكثر الصوفية قدست أسرارهم على أن المراد بـ "العالمين" - أي في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلعَالَمِين** ﴾ الأنبياء (١٠٧) - جميع الخلق، وهو ﷺ رحمة لكل منهم، إلا أن الحظوظ متفاوتة، ويشترك الجميع في أنه عليه الصلاة والسلام سبب لوجودهم، بل قالوا : إن العالم كله مخلوق من نوره ﷺ. وقد صرح بذلك الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره (١) .

يقول الفقير : في الحقيقة إنه كما أن العقول تحتار في مهامه الفكر عند الخوض في بحث الشخصية المحمدية ﷺ. في سيرته، وإنجازاته، وأعماله،

---

(١) تفسير روح المعاني - ج - ١٧ - ص ١٠٩ -

وأحواله وأقواله، وسلوكه، وأخلاقه، وآدابه، ونظامه، وإدراكاته وإرشاده، وتأديبه ووو... فكذلك الأرواحُ التي فتح لها الطريق والأبواب لمشاهدة ما وراء الحس من أهل القلوبِ التي بصفائها صارت مجالي لحقائق الأنوار، والنفوس التي تزكت من لوثات الأغيار، فانطلقت في ميادين الأنوار لاقتناص نفائس المعارف والأسرار تلك كذلك قد حارت في ميدان معرفة حقيقته المحمدية ﷺ فترى كلام الكل ينادي بالعجز والكلل، فمنهم من يشير ويرى أن الإشارة لا تروي ولا تمير، فيرجع إلى عقال العجز واقفا في حد الاجلال - وأي إجلال - ومنهم من يذكر ويعبر تبريداً لغليل ما نابه من العشق، فيغار من أن لا يذكر شيئاً من ذلك الجمال النزيه الذي تَذَوَّقَهُ، وإنه كيف لا يشهر تلك الملامح، وكيف لا يعلن عن تلك السمات واللوائح، فتجذبه مغنطة الحب، وتهزه نسمات القرب، فلا يرى من نفسه إلا بلبلاً يغرد، ولا يهمه - وهو في ذكر جمال الحبيب - أن يفهم قوله القريب أو البعيد أو لا يفهم .

فمن القسم الأول : ما يقوله القطب الرباني باز الله الأشهب سيدي شيخ الإسلام أبو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه " تأخر الكل عند (أَوْ أَدنى) تقدم صاحب (دَنى فَتَدَلَّى) وجليت عليه عرائس الأكوان في خلع (لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبرى) ما تلفت إليها بعين الاشتغال، بل تأدب بأدب (ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) هذا الوادي المقدس فأين موسى ؟ هذا روح القدس فأين عيسى ؟ (هَذا مُغْتَسَلُ بارِدٌ وَشَراب) فأين أيوب ؟ سافرت العقول في ميادين الغيوب، وكم طارت الأفكار من أوكار أو طارها إلى رُبَا العُلا تطلب نسمة من نسمات هذا الشرف الأعلى، وتطمع في نغمة من نغمات هذا الروض الأغنى، وتغلغل بالخوض في لجج كل بحر فما وجدت إلى طلبته سبيلاً، فنادت ألسن معارفها بلسن إعترافها : يا خاتم الرسل أنت روح جسد الوجود، أنت ورد بستان الكون، أنت عين حياة الدارين، لك نظمت تمائم الوحي، على مشام روحك هبت نسمات

لطلف لطف القلم لك لحمد القدر لواء (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) بعطر الثناء عليك أرج الملكوت الأعلى، من نور علومك أضاء مصباح الشرع، بمصابيح كلمك تشرق سماوات الحكم قامت الأنبياء خلفه صفوفاً لتأتم بجلاله في مشهد شهادتهم بتقدمه عليهم، فناداهم منادي المُقدِّرِ : يا أصحاب أوكار السادة، وأرباب الحجة على الخليقة هذا قمر العلاء، هذا شمس السناء، هذا تاج الأنبياء، فَحَدِّقُوا أحداق البصائر في بهائه، واكشفوا براقع الأفكار عن ضيائه تجدوه يتيمة شَرُفَ بها درر جيد الرسالة، ودبج بها طرز حلة الوحي، فتلوا بلسان الاعتراف (وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامُ مَعلُومُ) [1] .

ومن القسم الثاني : قول الإمام العارف سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه في الصلاة المشيشية المشهورة : "اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه، وحياض الجبروت بفيض أنوار، متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط" .

وهناك كتب موسوعة تَطَرَّقَ أصحابها فيها للكلام في الحقيقة المحمدية ﷺ، ولكن تلك الكتب بحار لا ساحل لها ولا يعرف الخوض فيها إلا أهلها، ذلك : لأن السبيل إلى معرفتها والتذوق بمفاهيمها ذوقا كما ذاقها أهلها يتطلب الجهد الجهيد والاخلاص السديد كما جهد أربابها وأهلها، وأنى ذلك وأنّى ؟

ومن تلك الكتب كتاب المواقف العرفانية للأمير الصوفي العارف عبد القادر الجزائري رضي الله عنه ذكر الأستاذ الشيخ عبد المجيد الخاني الدمشقي رحمه

---

(١) من مقال طويل له رضي الله نقله اليافعي رحمه الله في كتابه نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية م ٤١٣ .

الله شيئاً من كلامه في كتابه "الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية" حيث أنه رحمه الله ترجم لهذا الأمير الصوفي كذلك ولو أنه ليس من أجلاء النقشبندية بل إنه من أجلاء الشاذلية رضي الله عن الجميع وأفاض علينا من بركات الجميع، وقد ذكر في كتابه سبب ذكره له رضي الله عنه ومما نقله الشيخ الخاني عن الأمير الصوفي رحمهما الله قوله : "إعلم أن الله تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كلياً سماه حضرة الجمع والوجود، لكونه جامعا لحقائق الوجود وسماه بالحقيقة المحمدية لكون محمد ﷺ أكمل مظاهرها... إلى أن قال : ومحمد ﷺ الإنسان الأكمل فإنه لا إنسان يماثل محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم، وكل ما عداه فهو مخلوق منه، فهو عين الوجود الصادر من الله تعالى بلا واسطة" (١) .

وفي تفسير روح المعاني للإمام العلامة الآلوسي رحمه الله : أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر والحاكم وصحَحه والبيهقي في الأسماء والصفات عن طاووس قال : جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فسأله مم خلق الخلق ؟ قال : من الماء، والنور والظلمة، والريح، والتراب . قال : فمم خلق هؤلاء : قال : لا أدري، ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله، فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فأتى ابن عباس رضي الله عنهم جميعاً، فسأله مم خلق الخلق ؟ قال : من الماء والنور والظلمة والريح والتراب. قال : فمم خلق هؤلاء ؟ فقرأ ابن عباس ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّمواتِ وَما في الأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ** ﴾ الجاثية (١٣) . فقال الرجل : ما كان ليأتي بهذا إلا رجل من أهل بيت النبوة !!. هذا .

(١) الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ص = ٢٨٣ .

وعلق أبو الفضل الآلوسي على هذا بأقوال للأئمة الأعلام لم يسع المجال لذكرها فليراجع من يريد (١) .

وكلمة موجزة : تلك الحقائق التي تكلم عنها أرباب الشهود من أهل الولاية التي منتهاها - كما يعبرون - حضرة الجمع أو الحقيقة المانعة، أو الحقيقة المحمدية حيث تنتهي إليها معارفهم هم في شهودهم ومشهودهم أرباب ذوق ووجد وفهم، ويعبرون بما يتمكنون من العبارة فتلك المعاني لا تعارض شيئاً من أصول الدين، بل إنها تنوه بعظمة أعلى وأعلى لرسول الله صلى الله عليه مما يوجب كمال الإيمان وكمال الإطاعة له ﷺ وكمال اتباعه في سننه وآدابه ﷺ والإيمانُ بتلك العقائد من مندوبات العقيدة إذ إنه كما أن الأعمال البدنية تشملها الأحكام الخمسة الشرعية فكذلك العقائد والأعمال القلبية، وتفصيل تلك الأحكام في القلبيات تدعو إلى بيان موسع لسنا في ذلك المجال، وإذا كان إعتقاد هذه العقائد التي عبر عنها الأولياء من مندوبات العقيدة فلا شك أنها تحمل على الاهتمام الزائد بالآداب المحمدية ﷺ، يرشدك إلى هذا لو تقرأ مباحث الآداب في كتب القوم لترى مدى دقتهم واهتمامهم بدقائق الأداب، عندما ترى غيرهم ممن يدّعون لأنفسهم المقام العالي من العلم في مجال الرسوم تراهم قد يقصرون بالتأويل أو حتى بغير التأويل في السنن والآداب، بل وحتى في الواجبات بعضاً. اللهم نور بصائرنا بأنوار معرفتك، ومعرفة حبيبك ﷺ، ووفقنا لكمال الاتباع كي ننال حبك، وارزقنا الأدب مع أوليائك، وأفضِ علينا يا مولانا كما أفضت عليهم، واجعلنا منهم حتى نكون في المقعد الصدق عندك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا يا أرحم الراحمين ويا مجيب السائلين .

(١) تفسير روح المعاني - ج - ٢٥ - ص - ١٤٥ - ١٤٦ -

* **الشعاع الثالث : رسالته ﷺ وفيه ثلاث لمعات :**

* **اللمعة الأولى : تعريف الأولياء بالقرآن الكريم وأهمية إشاراتهم :**

قال العلامة الآلوسي رحمه الله : "وقد قال ساداتنا الصوفية أفاض الله علينا من فتوحاتهم القدسية : إن القرآن إشارة إلى الذات التي تضمحل بها جميع الصفات، فهي المجلى المسمى بالأحدية ، أنزلها الحق تعالى شأنه على نبيه محمد ﷺ ليكون مشهد الأحدية من الأكوان... ثم ذكر رحمه الله من بياناتهم العرفانية في وصف القرآن في بعض الآيات : بالكريم وفي وصفه بالحكيم، وفي "الفرقان"... إلى أن قال رحمه الله لكونه ﷺ مظهراً للقرآن والفرقان كان خاتم النبيين وإمام المرسلين ، لأنه ما ترك شيئاً مما ينبغي أن ينبه عليه . قال تعالىٰ : ﴿ **ما فَرَّطْنا في الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ أنعام (٣٨) . وقال تعالى : ﴿ **وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلناهُ تَفْصيلاً** ﴾ الإسراء (١٢) . إلى غير ذلك من الآيات.[١]

ومما هو معلوم : أن نظرهم الواسع وفكرهم الدقيق في كتاب الله عز وجل مع صقالة القلب وصفاء الروح قد أوصلتهم إلى أن يحيطوا بمفاهيم ومعان دقيقة في القرآن ومن القرآن فتوسعوا في أخذ الحقائق من أشعة أنوار الآيات مد بصرهم الروحي، وذلك بعد التمسك الكامل والأخذ الأكمل بالظواهر التي هي دستور المعاملة والطريق التي أنزل الله سبحانه القرآن برحمته لبيانها، وإيضاح المسالك لروادها .

وإشاراتهم التي استنبطوها من الآيات الكريمة لا تزيد المؤمن إلا إحكاما لليدين للتمسك بالأحكام، وانقياداً بكل ما يحمله لفظ الانقياد حتى

(١) تفسير روح المعاني - ج - ١ - ص ٩ -

بالأحاسيس والمشاعر قلباً وقالباً لاتباع الهادي البشير، والاهتداء بنور سنته وهدي ملته .

قال العلامة أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي رحمه الله : "وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الاشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن فقط إذ ذلك اعتقاد الباطنية توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وحاشا ساداتنا من ذلك، كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا : لا بد منه أولاً، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يتجاوز الباب... ؟!!

ومما يؤيد أن للقرآن ظاهراً وباطناً ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه ولا تبتغي غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء .

وقال ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليتل القرآن ومن المعلوم أن هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر .

وقال بعض من يوثق به : لكل آية ستون ألف فهم .

وروي عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ "لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع .

قال ابن النقيب : إن ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وباطنها

ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق، ومعنى قوله : "لكل حرف حد" أن لكل حرف منتهى فيما أراده الله تعالى من معناه، ومعنى قوله "ولكل حد مطلع" أن لكل غامض من المعاني والأحكام مطلعاً يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به .

وقيل في رواية : "لكل آية ظهر وبطن، وحد ومطلع" : والمذكور بواسطة الألفاظ وضعا وأفادة، وجعلها طرقا إلى استنباط الأحكام الخمسة هو الظهور. وروح الألفاظ أعني الكلام المعتلى عن المدارك الآلية بجواهر الروح القدسية... إلى أن قال رحمه الله فلا ينبغي لمن له أدنى مسكة من عقل، بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدىء الفياض على بواطن من شاء من عباده. وياليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى : ﴿ **وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ما فَرَّطْنا في الكِتابِ من شيء** ﴾ ويالله تعالى العجب كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة ولا يقول باشتمال القرآن وآياته، وهو كلام الله تعالى رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين على ما شاء الله تعالى من المعاني المحتجبة وراء سراد قات تلك المباني ؟!!! (سُبْحانَكَ هَذا بُهْتانٌ عَظيمٌ) بل ما من حادثة ترسم بقلم القضاء في لوح الزمان إلا وفي القرآن العظيم إشارة إليها، فهو المشتمل على خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت...

ثم بعد ذكر ـ أي الآلوسي رحمه الله ـ بعض الوقائع التاريخية التي قال العلماء الأوائل أنها ستكون بطريق فهمهم من آيات قرآنية فوقعت كما قالوا، قال رحمه الله : فالإنصافُ كلُ الإنصاف : التسليم للسادة الذين هم مركز للدائرة المحمدية ـ ﷺ ـ ما هم عليه ، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل ـ لكثرة العلائق والعوائق ـ إليه .

وإذا لم تر الهلال فسلم : لأناس رأوه بالأبصار [1] فبفتح بصر الإنصاف يعلم الناظر أن كمال الرسالة المحمدية لم يعرف كما ينبغي إلا بنظر الولاية الثاقب، وإنه مهما يتجلى للانسان معاني العرفان يترقى في مراقي المعرفة بالمقام الأحمدي ورسالته ﷺ، والذي احتجب في ظلام حجب العقلانية ومناطه المجرد فقد جنى على نفسه وحرمها معيناً يحيي القلوب وهي رميم .

* اللمعة الثانية : تعميم رسالته ﷺ، ونيابة الأنبياء والأولياء عنه عليه وعليهم الصلاة والسلام :

قال الإمام الشعراني رحمه الله في كتابه اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر في بحث عموم بعثة سيدنا محمد ﷺ :

" الحاصل : إن كلام علماء الأصول يرجع إلى قولين :

الأول : إنه ﷺ أُرسل إلى الملائكة والثاني : لم يُرسل إليهم. والذي صححه السبكي وغيره : إنه أرسل إليهم، وزاد البازري رحمه الله : إنه أرسل إلى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر، ذكره الجلال السيوطي في أوائل كتاب الخصائص، ونقل فيها أيضاً عن السبكي : أنه كان يقول إن محمداً ﷺ نبي الأنبياء، فهو كالسلطان الأعظم، وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كأمراء العساكر، ولو أدركه جميع الأنبياء لوجب عليهم اتباعه، إذ هو مبعوث إلى جميع الخلق من لدن آدم إلى قيام الساعة، فكانت الأنبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف، وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه ﷺ لا يَتَعَداها. [2]

ونقل الشعراني كذلك عن الشيخ الأكبر قدس الله روحه قوله : "اعلم أنه ﷺ

---

(١) تفسير روح المعاني - ج - ١ - ص - ٧ - ٨ -

(٢) اليواقيت والجواهر - للشعراني - ج - ١ - ص ٣٦ -

نبي الأنبياء للعهد الذي أخذ الله على الأنبياء بسيادته عليهم ونبوته في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ.. ﴾ الآية آل عمران ـ ٨١ ـ، فعمت رسالته وشريعته كل الناس، فلم يخص نبي بشيء إلا إن كان ذلك الشيء لمحمد ﷺ بالأصالة [1] .

وذكر خاتمة المحققين النجم الآلوسي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمْ الرِّجسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الأحزاب (٣٣) .

بعد أن أفاد وأجاد، وجال ووسع المجال قال : "ولذا نجد عُبَّادَ أهل البيت أتم حالا من سائر العُبَّادِ المشاركين لهم في العبادة الظاهرة، وأحسن أخلاقاً، وأذكى نفساً، وإليهم تنتهي سلاسل الطرق التي مبناها كما لا يخفى على سالكيها التخلية والتحلية اللتان هما جناحان للطيران إلى حظائر القدس، والوقوف على أوكار الأنس، حتى ذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر لا يكون إلا منهم، خلافا للاستاذ أبي العباس المرسي حيث ذهب كما نقل عنه التاج ابن عطاء الله ـ إلى أنه قد يكون من غيرهم ورأيت في مكتوبات الامام الفاروقي الرباني مجدد الالف الثاني قدس سره ما حاصله : إن القطبية لم تكن على سبيل الأصالة إلا لأئمة أهل البيت المشهورين، ثم إنها صارت بعدهم لغيرهم على سبيل النيابة عنهم حتى انتهت النَّوبَةُ إلى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره النوراني، فنال مرتبة القطبية على سبيل الأصالة، فلما عرج بروحه إلى عليين نال من بعده تلك الرتبة على سبيل النيابة عنه. فإذا جاء المهدي ينالها أصالة كما نالها غيره من الأئمة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً" آهـ. ثم قال رحمه الله "وهذا مما لا سبيل إلى معرفته والوقوف على حقيقته إلا بالكشف

(١) اليواقيت والجواهر ـ ج ـ ١ ـ ص ١٩ ـ

وأنى لي به، والذي يغلب على ظني أن القطب قد يكون من غيرهم، لكن قطب الأقطاب لا يكون إلا منهم، لأنهم أزكى الناس أصلا، وأوفرهم فضلا، وإن من ينال هذه الرتبة منهم لا ينالها إلا على سبيل الأصالة، دون النيابة والوكالة وأنا لا أعقل النيابة في ذلك المقام، وإن عقلت، قلت : كل قطب في كل عصر نائب عن نبينا عليه من الله أفضل الصلاة وأكمل السلام، ولابدع في نيابة الأقطاب بعده عنه عليه الصلاة والسلام، كما نابت عنه الأنبياء قبل، فهو عليه الصلاة والسلام الكامل المكمل للخليقة، والواسطة في الإفاضة عليهم على الحقيقة، وكل من تقدمه عصراً من الأنبياء وتأخر عنهم من الأقطاب والأولياء نواب عنه ومستمدون عنه .

وأقول : إن السيد الشيخ عبد القادر قدس سره وغمرنا بره قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده عليه الصلاة والسلام على أتم وجه وأكمل، فقد كان رضي الله تعالى عنه من أجلة أهل البيت، حسنياً من جهة الأب حسينياً من جهة الأم، لم يصبه نقص لَوْ أَن، وعسى، ولَيْتَ. ولا ينكر ذلك إلا زنديق أو رافضي ينكر صحبة الصديق... إلى آخر ما قال رحمه الله (١) .

وقال كذلك رحمه الله : بل هو عليه الصلاة والسلام وسيلة سائر الموجودات والواسطة بينهم وبين الله سبحانه في إفاضته ـ تعالى ـ الوجود، وكذا سائر ما أفيض عليهم. وأحظى الخلق بوساطته الأنبياء عليهم السلام، فإنهم أشعة أنواره وعكوسات آثاره، وهو النور الحق، والنبي المطلق، وكان نبياً وآدم بين الماء والطين وقد تلقى الأنبياء منه من وراء حجاب الأرحام والأصلاب (٢) وقال رحمه الله

(١) تفسير روح المعاني ـ ج ـ ٢٢ ـ ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) تفسير روح المعاني ـ ج ـ ١٥ ـ ص ١٢١ ـ

كذلك : " فأوَّلُ روح ركضت في ميدان الخضوع والانقياد والمحبة روح نبينا ﷺ، وقد أسلم نفسه لمولاه بلا واسطة، وكل إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما أسلموا نفوسهم بواسطته عليه الصلاة والسلام فهو عليه الصلاة والسلام المرسل إلى الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين في عالم الأرواح، وكلهم أمته وهم نوابه في عالم الشهادة" (١) .

وقال العلامة العارف سيدي الشيخ محمد أمين الكردي رحمه الله : ومما يجب اعتقاده أن نبينا محمداً ﷺ أفضل الخلق أجمعين، وكون الشفاعة العظمى والكلام له في الموقف الأعظم، وكذا ما اشتهر في سبق نبوته على الكل، وأخذ الميثاق عليهم أن يتبعوه إن أدركوه، وقد أجرى الله جميع المنافع الدينية والدنيوية لعباده على يديه فهو إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود وكل الأنبياء نوابه وخلفاؤه كما قال النابلسي رحمه الله :

كل النبيين والرسل الكرام أتوا … نيابة عنه في تبليغ دعواه
فهو الرسول إلى كل الخلائق في … كل الدهور ونابت عنه فواه (٢)

يا غَادِياً نَحْوَ الحبيبِ عَساكا … تُقْرِ السَّلامَ إذا وَصَلْتَ هُنَاكا
وَعَسَاكَ تُجْري ذِكْرَ مِثْلي عِنْدَهُ … فَهُوَ الشِّفاءُ لِدائِنا ولِداكا
وَقُلِ السَّلامُ عَلَيْكَ يا خَيْرَ الْوَرى … مِنْ شَيِّقٍ طُوْلَ المَدى بِهَواكا

(١) تفسير روح المعاني - ج - ٧ - ص - ١٤٠ -

(٢) تنوير القلوب للشيخ محمد أمين الكردي ص ٣٥ - ٣٦ - بإيجاز واختصار .

أَنْتَ الَّذي لَوْلاكَ ما سَرَتِ الصَّبا
كَلَّا ولا عُرِفَ الْهُدىٰ لَوْلاكا

لَولاكَ ما غُفِرَتْ لآدَمَ زَلَّةٌ
لَمَّا الْتَجَأَ في وَقْتِهِ لِحِمَاكَا

لَوْلاكَ ما رُفِعَتْ ليُونُسَ رُتْبَةٌ
لَمَّا نَجَا مِنْ حُوتِهِ بِهُداكا

لَوْلاكَ ما كانَ ابْنُ عِمرانَ ارْتَقى
طورَ الخطابِ وَكانَ مِنْ نَجْواكَا

وَلَقَدْ سَرَيْتَ إلىٰ المُهَيْمِنِ لَيْلَةً
وَاللّهِ ما أَحَدُ سَرىٰ مَسْراكَا

فَعَلَيْكَ يا خَيْرَ الأَنَامِ تَحِيَّةٌ
تَأْتيكَ بالإقبالِ مِنْ مَوْلاكَا

* اللمعة الثالثة الكلام في اجتماع الأولياء به عليه الصلاة والسلام :

في الفتاوي الحديثية للامام العلامة الحافظ الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله :

"سئل نَفَعَ الله بعلومه ورضي عنه : هل يمكن الآن الاجتماع بالنبي ﷺ في اليقظة والتلقي منه ؟

فأجاب بقوله : نعم يمكن ذلك، فقد صرح بأن ذلك من كرامات الأولياء : الغزالي، والبارزي، والتاج السبكي، والعفيف اليافعي من الشافعية، والقرطبي، وابن أبي جمرة من المالكية... إلى آخر ما قال رضي الله عنه (١) .

وفي جواب سؤال آخر حيث سئل رضي الله عنه : هل تمكن رؤية النبي ﷺ في اليقظة ؟ قال رضي الله عنه : أنكر ذلك جماعة، وأثبته آخرون، وهو الحق، فقد أخبر بذلك من لايتهم من الصالحين، بل استُدِلَّ بحديث البخاري "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة" أي بعين رأسه، وقيل بعين قلبه وإحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، على أنه لا فائدة في التقييد حينئذ، لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره. وفي شرح ابن أبي جمرة

(١) الفتاوي الحديثية لابن حجر - ص - ٢١١ -

للأحاديث التي انتقاها من البخاري ترجيح بقاء الحديث على عمومه في حياته ومماته لمن له أهلية الاتباع للسنة، وأكثر ما يقع ذلك للعوام قبل الموت عند الاحتضار، فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده ﷺ. وأما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلة أو بكثرة بحسب تأهلهم وتعلقهم واتباعهم للسنة، إذ الاخلال بها ـ أي بالسنة ـ مانع كبير، وفي صحيح مسلم عن عمران ابن الحصين رضي الله عنه أن الملائكة كانت تسلم عليه إكراما له على صبره على ألم البواسير فلما كواها انقطع سلام الملائكة عنه، فلما ترك الكي ـ أي برئ ـ كما في رواية صحيحة عاد سلامهم عليه، لكون الكي خلاف السنة مُنِعَ تسليمهم عليه مع شدة الضرورة إليه، لأنه يقدح في التوكل والتسليم والصبر، وفي كتاب المنقذ من الضلال لحجة الاسلام بعد مدح الصوفية، وبيان أنهم خير الخلق : حتى أنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء عليهم السلام ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد، وقال تلميذه أبو بكر بن العربي المالكي : ورؤية الأنبياء والملائكة عليهم السلام وسماع كلامهم ممكن... الخ وقال البازري : وقد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنهم رأوا النبي ﷺ يقظة. ونقل اليافعي وغيره عن الشيخ الكبير أبي عبد الله القرشي : أنه وقع بمصر غلاء كبير، فتوجه للدعاء برفعه فقيل : لا تدع فلا يسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء، فسافرت إلى الشام، فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام تلقاني، فقلت : رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم ففرج عنهم : قال اليافعي : فقوله : تلقاني الخليل قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي ﷺ إلى جماعة من الأنبياء في السماء،

وسمع خطابهم وقد تقرر : أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي. وحكى ابن الملقن في الطبقات : رؤيتهم للنبي ﷺ، وذكر الكمال الأدفوي عمن أخذ عنه ابن دقيق العيد وغيره وعن غيره. وقال التاج بن عطاء الله، عن شيخه الكامل العارف أبي العباس المرسي : صافحت بكفي هذا رسول الله ﷺ. والحكايات في ذلك من الأولياء كثيرة جداً، ولا ينكر ذلك إلا معاند أو محروم، وعلم مما مر عن ابن العربي : أن أكثر ما تقع رؤيته ﷺ بالقلب ثم بالبصر، لكنها بها ليست كالرؤية المتعارفة، وإنما هي جمعية حالية، وحالة برزخية، وأمر وجداني فلا يدرك حقيقته إلا من باشره كذا قيل... ولا مانع من أن يراه كثيرون في آن واحد لأنه كالشمس" (١) انتهى بإيجاز وقال الامام الشعراني رحمه الله : " فإن قلت : فهل يصدق من ادعى رؤية النبي ﷺ في اليقظة الآن :

فالجواب : نعم يصدق. وقد أخبرني الشيخ الصالح عطية الابناسي والشيخ صالح قاسم المغربي المقيم في تربة الامام الشافعي رضي الله عنه، والقاضي ذكريا الشافعي : أنهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول : رأيت رسول الله ﷺ في اليقظة بضعاً وسبعين مرة. وقلت له مرة منها : هل أنا من أهل الجنة يا رسول الله ؟ فقال : لك ذلك. قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع بالسلطان الغوري في ضرورة وقعت لي فقال لي يا عطية أنا أجتمع بالنبي ﷺ يقظة وأخشى إن اجتمع بالغوري أن يحتجب ﷺ عني" (٢) .

---

(١) الفتاوي الحديثية لابن حجر ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) اليواقيت والجواهر للشعراني - ج - ١ - ص - ١١٩ -

وقد أسهب خاتمة المحققين شيخ الاسلام شهاب الدين الآلوسي رحمه الله في هذا الموضوع في تفسيره الشهير نقتطف من جناه مايلي :

قال رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، وجعل الجنة منقلبه ومأواه :

" وقد وقعت رؤيته ﷺ لغير واحد من الكاملين من هذه الأمة، والأخذ منه يقظة"... ثم بعد ذلك أسهب رحمه الله في النقل عن الأئمة الأعلام، وذكر حكايات عن ذلك من بعض الكمل رضي الله عنهم. ثم قال" وفي "تنوير الحلك لجلال الدين السيوطي رحمه الله الذي رد به على منكري رؤيته ﷺ بعد وفاته في اليقظة : طرف معتد به من ذلك ثم بدأ رحمه الله بالاستدلال على ذلك فقال : أخرج البخاري ومُسْلم، وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي" .

وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله الخثعمي .

ومن حديث أبي بكرة، وأخرج الدارمي من حديث قتادة؛ ثم بعد مناقشة الأدلة، ورد تعقيبات المنكرين، والاكثار من نقل أقوال العلماء في توجيه الرؤية قال رحمه الله :

والذي يغلب على الظن : أن رؤيته ﷺ بعد وفاته بالبصر ليست كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض وإنما هي جمعية حالية، وحالة برزخية، وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره، ولشدة شبه تلك الرؤية بالرؤية البصرية المتعارفة يشتبه الأمر على كثير من الرائين. فيظن أنه رآه ﷺ ببصر الرؤية المتعارفة، وليس كذلك، وربما يقال : إنها رؤية قلبية، ولقوتها تشبه بالبصرية والمرئية أما روحه ﷺ التي هي أكمل الأرواح تجرداً وتَقَدُّساً، بأن تكون قد تطورت وظهرت بصورة مرئية بتلك الرؤية مع بقاء تعلقها بجسده الشريف الحي في القبر السامي المنيف، على حد ما قال بعضهم من أن جبريل

عليه السلام مع ظهوره بين يدي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي أو غيره لم يفارق سدرة المنتهى، وأما جسد مثالي تعلق به روحه ﷺ المجردة القدسية .

ولا مانع من أن يتعدد الجسد المثالي إلى مالا يحصى من الأجساد مع تعلق روحه القدسية عليه من الله تعالى ألف ألف صلاة وتحية بكل جسد منها، ويكون هذا التعلق من قبيل تعلق الروح الواحدة بأجزاء بدن واحد، ولا تحتاج في إدراكاتها وإحساساتها في ذلك التعلق إلى ما يحتاج إليه من الآلات في تعلقها بالبدن في الشاهد. وينحل به السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلاة والسلام في زمان واحد في أقطار متباعدة، ولا يحتاج معه إلى ما أشار إليه بعضهم ، وقد سئل عن ذلك فأنشد :

كالشمس في كبد السماء وضوؤها   يغشى البلاد مشارقا ومغاربا [١]

يقول الفقير : هذا الذي أوضحه رحمه الله هو الذي أشار إليه شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله، ولا يبعد أن يكون إنشاد هذا البعض بهذا البيت من الشعر إشارة إلى مثل ذلك .

وبيانه : أن أولئك الأجسام المثالية هي في قبول التعلق الروحي بطريق إيضاح التجلي شبيهة بالشفاف من الأجسام في قابليتها لتمثل الشمس فيها، فأي مرآة أو قطعة زجاج، أو قطرة ماء يشاهد فيها شمس الفلك، وصاحب المرآة يرى له إنتسابا للشمس بالقرب، فالوحدة والتعدد بهذا التمثيل يقربان إلى الذهن .

وقد لا يبعد أن يحمل على هذا الوجه عند من يقول : إن ملكَيْ السؤال اثنان فقط، فيكون حضورهما في كل قبر بمثل ذلك، كظهور جبريل عليه السلام بصورة دحية عند رسول الله ﷺ غير مفارق سدرة المنتهى .

---

(١) تفسير روح المعاني - ج - ٢٢ - من صفحة - ٣٥ - إلى ص - ٣٧-

ثم بعد اللتيا والتي استشكل الآلوسي رحمه الله : بأن هذه الرؤية التي يقول بها الأولياء ويقر لهم العلماء لم تكن مألوفة في الرعيل الأول الذين هم خير القرون، مع ما دهاهم من الحالات مما كانوا أحوج ما يكونوا إلى الاجتماع برسول الله ﷺ، والأخذ منه، ثم ذكر رحمه الله حالات كثيرة مما جرى ثم أجاب رحمه الله عن الأشكال بقوله : " لا يحسن مني أن أقول : إن كل ما يحكى عن الصوفية من ذلك كذب لا أصل له لكثرة حاكيه وجلالة مدعيه، وكذلك لا يحسن مني أن أقول : إنهم إنما رأوا النبي ﷺ مناماً فظنوا ذلك لخفة النوم وقلة وقته يقظة، فقالوا : رأينا يقظة لما فيه من البعد ولعل في كلامهم مايأباه، وغاية ما أقول : إن تلك الرؤية من خوارق العادة كسائر كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكانت الخوارق في الصدر الأول لقرب العهد بشمس الرسالة قليلة جداً، وأنى يرى النجم تحت الشعاع، أو يظهر كوكب وقد انتشر ضوء الشمس في البقاع، فيمكن أن يكون قد وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة، ولم تقتض المصلحة إنشاءه، ويمكن أن يقال : إنه لم يقع لحكمة، أو لخوف فتنة، أو لأنّ في القوم من هو كالمرآة له ﷺ، أو ليهرع الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما يهمهم فيتسع باب الاجتهاد. وتنتشر الشريعة، وتعظم الحجة التي يمكن أن يعقلها كل أحد، أو لنحو ذلك، وربما يدعى أنه عليه الصلاة والسلام ظهر ولكن كان مستتراً في ظهوره كما روي أن بعض الصحابة أحب أن يرى رسول الله ﷺ، فجاء إلى ميمونة رضي الله تعالى عنها فاخرجت له مرآته ﷺ فنظر فيها فرأى صورة رسول الله ﷺ ولم ير صورة نفسه فهذا كالظهور الذي يدعيه الصوفية، إلا أنه بحجاب المرآة، وليس من باب التخيل الذي قوي بالنظر إلى مرآته عليه الصلاة والسلام، وملاحظة أنه كثير ما ظهرت فيها صورته ﷺ حسبما

ظنه ابن خلدون [1] أضف إلى ذلك ! أنّ حل المشكلات لو كان عن طريق الرؤية لكان ذلك فتحا لباب الدعاوي لأهلها على مصاريعه، وكان ذلك سببا لالغاء الشريعة فلم يكن طريق للفهم عن رسول الله ﷺ إلا النقل والرواية بالطريقة المتبعة فأصبح كل من يدعي فهم حكم من رسول الله ﷺ لا يقبل منه إلا إذا كان ذلك الحكم مقبولا من حيث الرواية والدراية المتبعة فمقبوليته لم تكن بسبب ذلك الدعوى .

وأما عدم كشف بعض الأمور لدرء بعض المفاسد كمقتل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فلأن الأحوال ليست بالاختيار وإلا فلماذا لم يشم يعقوب عليه السلام رائحة ولده يوسف وهو في البئر عنده، واشتم رائحة القميص عند خروجه من مصر .

وأما إنه لماذا قلت الخوارق في الصدر الأول ؟ فقد يقال أيضاً : إن ظهور الخوارق وسيلة أساسية للإقناع في المسائل الايمانية ولذلك أيّد الله سبحانه أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات، وأظهر على أيدي أوليائه الكرامات، فبسبب قرب العهد بالمعجزات النبوية ﷺ لم تكن حاجة بخوارق أخرى. ولكن مهما يكن فإن سؤالا يطرح نفسه، وهو : إنه إذا كانت الخوارق كرامات فمعنى ذلك أنها تدل بذاتها على كرامة من ظهرت على يديه عند الله عز وجل، وأنه مكرم عنده، فهذا يدعو أن يكون أهل خير القرون أولى بها من كل البشر. وقد أجاب سيدي الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله عن مثل هذا السؤال في كتابه "حقيقة نورلري" أنوار الحقيقة ـ بقوله :

إن ذلك إنما هو بسبب فرق بين ولاية الصحابة رضي الله عنهم وولاية غيرهم، وقال : إن ذلك يتضح ببيان سر دقيق للولاية : هو أن ولاية الصحابة

---

(١) تفسير روح المعاني ـ ج ـ ٢٢ ـ ص ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ

رضي الله عنهم ـ وهي الولاية التي تسمى بـ " الولاية الكبرى " وهي المستفادة من الوراثة النبوية ﷺ لا تمر ببرزخ الطريقة بل مترقية من الظاهر رأساً إلى الحقيقة، وناظرة من حضيض البشرية إلى أوج انكشاف الأقربية الإلهية بدون توسط السير القلبي في مواكب سلوك الطريقة فطريقة تلك الولاية مع كونها في غاية القصر فهي كذلك في غاية علو القدر، وخرق العادة فيها قليل، ولكن مراتبها... إلى أن قال رحمه الله :

وأكثر الكشف والكرامات تظهر في حال التجرد عن الرذائل البشرية أثناء السير والسلوك بشيء مخالف للعادة. والصحابة رضي الله عنهم لا يجبرون بطي دائرة السير العظيمة، مع انعكاس الصحبة النبوية ﷺ وجذبها وإكسيرها، بل ينالون الحقيقة بخطوة وصحبة... إلى آخر ما قال رضي الله عنه.. هذا. مع أن الكرامات عند العارفين نوعان : كرامة معنوية، وكرامة حسية. فالكرامة المعنوية هي : أن يَتَولَّى الله عبده فيوفقه للمزيد من الهدى والأعمال الصالحة ويحفظه من الذنوب والمعاصي وفي هذه الكرامة المعنوية قال تعالى : ﴿**إنْ تتقوا الله يَجعَلْ لكُم فُرقاناً**﴾ الأنفال (٢٩) .

وقال سبحانه : ﴿ **والَّذينَ جَاهَدوا فِينَا لنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا** ﴾ العنكبوت (٦٩). وقال تعالى في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ».. الحديث. فماذا هو أعلى من أَنَّ الرَّبَ عز وجل يتولى عبده حتى يكون سمعه وبصره ومَشْيُهُ وبطشه كلها به سبحانه، وهل كانت الفتوحات والأعمال الجليلة التي امتاز بها أصحاب رسول الله ﷺ إلا من آثار تلك الولاية العظمى. كيف لا ؟ والله سبحانه يخاطبهم بقوله : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهم** ﴾ الأنفال (١٧). ففي الحقيقة حياة الصحابة رضي الله عنهم كلها كانت خارقة للعادة. ولا يزال المفكرون في أوربا يعبرون عن انتصاراتهم وانجازاتهم : بأنها لغزٌ في التاريخ .

فصل في بعض ما ورد من ذكره ﷺ في الكتب السابقة

لقد بين الله سبحانه في القرآن الكريم في أماكن عديدة منه : أنه قد بين صفات حبيبه ﷺ، وفضله، وفضل أمته في الكتب التي أنزلها. منها قوله سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِيَّ الَّذي يَجِدونَهُ مَكْتوباً عِنْدَهُم في التَّوراةِ والإِنجيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأَغلالَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف (الآية - ١٥٧ -) وقوله سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِن عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلىٰ الَّذينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ علىٰ الكافِرِينَ ﴾ سورة البقرة (٨٩) وقوله سبحانه : ﴿ مُحَمَّدٌ رسولُ اللَّهِ والَّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلىٰ الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ ورِضْواناً سِماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُم في التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ في الإِنجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّراعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾ (الآية - الفتح - ٢٩ -) وقوله سبحانه : ﴿وإِذْ قَالَ عيسىٰ بنُ مَرْيَمَ يا بَني إِسرائيلَ إِنّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف - ٦ -) .

فالآيات الكريمة، والمواقف النبوية مع أهل الكتابين مبينة وواضحة، والأحبار الذين دخلوا حظيرة الإيمان بنور الهدي المحمدي ﷺ، والقسيسون الذين كانت أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قد ذكروا شيئاً مما كانوا يعرفون من صفات سيدنا محمد رسول الله ﷺ المذكورة، وتتبع العلماء رضي الله عنهم الكتب الموجودة لدى أهلها فوجدوا فيها من ذكره عليه الصلاة

والسلام مما يدل على أن ذكره عليه الصلاة والسلام لما كان كثيراً في تلك الكتب لم يتمكن أصحابها من إخلائها كلياً، فبقي ما بقي، وبذلك بقيت حجة الله تعالى قائمة على الأخلاف كما كانت قائمة على الأسلاف .

أخرج ابن سعد والدارمي في مسنده، والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عبد الله سلام رضي الله عنه قال : "صفة رسول الله ﷺ في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا إله إلا الله ويفتح أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوبنا غلفاً " ومثله من رواية البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص [١] .

وقال العلامة أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي رحمه الله :

الأناجيل التي عند النصارى أربعة :

١ - إنجيل متى من الاثني عشر الحوار بين جمعه باللغة السريانية بأرض فلسطين بعد رفع عيسى عليه السلام بثماني سنين، وعدد إصحاحاتها ثمانية وستون إصحاحاً...

٢- إنجيل مرقص، وهو من السبعين جمعه باللغة الفرنجية بمدينة "روميه" بعد رفع عيسى عليه السلام باثنتي عشرة سنة، وعدة إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحاً .

٣ - إنجيل لوقا وهو من السبعين أيضاً جمعه بالاسكندرية باللغة اليونانية، وعدة إصحاحاته ثلاثة وثمانون إصحاحا .

---

(١) راجع تفسير الآلوسي - ج - ٩ - ص ٨٠ -

أ ـ انجيل "يوحنا" جمعه بمدينة "أفسس" من بلاد رومية بعد الرفع بثلاثين سنة، وعدة إصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون وهي ـ أي تلك الاناجيل ـ مختلفة، وفيها ما يشهد الإنصاف بأنه ليس كلام الله عز وجل، ولا كلام عيسى عليه السلام ...

إلى أن قال رحمه الله : فما هي إلا كتواريخ وتراجم فيها شرح بعض أحوال عيسى عليه السلام وِلادةً وَرَفْعاً، ونحو ذلك وبعض كلمات له عليه السلام على نحو بعض الكتب المؤلفة في بعض الأكابر والصالحين... إلى أن قال رحمه الله : إن في إنجيل يوحنا ما هو بشارة بنبينا ﷺ عند من أنصف وسلك الصراط السوي وما تعسف .

ففي الفصل الخامس عشر منه : قال يسوع المسيح : "إن الفار قليط روح الحق يرسله أبي يعلمكم كل شيء"، وقال يوحنا أيضاً : "من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي، وعنده يتخذ المنزلة، كلّمتكم بهذا لأني لست عندكم بمقيم و "الفار قليط" روح القدس الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم. استودعكم سلامي لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فإني منطلق وعائد إليكم لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي إلى الأب .

وقال أيضاً : إن خيراً لكم أن أنطلق لأبي لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفار قليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلاماً كثيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب .

وقال أيضاً : إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب "فارقليطا" آخر يثبت معكم إلى الأبدِ روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه إنهم لم يَعْرِفُوهُ ولست أدعكم أيتاماً لأني سآتيكم من قريب " .

و" الفار قليط " لفظ يؤذن بالحمد، وتعين إرادته ﷺ من كلامه عليه السلام مما لا غبار عليه لمن كشف الله تعالى غشاوة التعصب عن عينيه. وقد فسر بعض النصارى بـ "الحماد" وبعضهم بـ " الحامد " فيكون في مدلوله إشارة إلى اسمه " أحمد " عليه الصلاة والسلام... إلى آخر ما قاله رحمه الله (١) .

وقال الأستاذ محمد جاد المولى رحمه الله في كتابه "محمد ﷺ المثل الكامل" : " وما يرويه المنصفون من غير المسلمين : إن الأناجيل قبل أن يفسدها المسيحيون كان بها كثير من الآيات التي تشير إشارة صريحة إلى محمد ﷺ، وإنها لهذا السبب حذفها المسيحيون، وإن قسيساً مسيحياً عظيماً أخبر بعضهم أنه لا توجد من الإنجيل نسخ غير مغلوطة إلا نسخة عنده، وأخرى محفوظة في باريس، وفي كل منهما آيات دالة على نبوة محمد ﷺ" (٢) .

نقول : وقد ظهر مؤخراً إنجيل آخر عدا الأناجيل المذكورة المتداولة بين النصارى، وهو "إنجيل برنابا" ونريد إن شاء الله تعالى أن ننقل منه جملة مما ورد فيه من صفات نبينا محمد ﷺ ومن بشارة عيسى عليه السلام به ﷺ، ولكن قبل ذلك نريد أن نقدم تعريفا بذلك الإنجيل، وكيف تداولته الأيدي واللغات حتى وصل إلى اللغة العربية، وصار متداولاً بين البشر عامة فنقول :

فصل في التعريف بإنجيل برنابا

قال مترجم ذلك الانجيل من اللغة الانكليزية إلى اللغة العربية الأستاذ الدكتور خليل سعادة في أول مقدمته لذلك الإنجيل :

---

(١) تفسير روح المعاني - ج - ٢١ - ص - ٨٠ - ٨٧ .

(٢) كتاب "محمد ﷺ المثل الكامل" الطبعة السادسة - ١٠٢ - .

قدمت على ترجمة هذا الكتاب المسمى بـ "إنجيل برنابا" وأنا شاعر بخطورة المسؤولية التي ألقيتها على عاتقي، وإن لم أقدم عليه إلاخدمة للتاريخ وغيرة على لغة هي أحق بنقله إليها من سواها، وهي المرة الأولى التي برز فيها هذا الإنجيل في ثوب عربي، وهو إنجيل تضاربت فيه آراء الباحثين، وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين، وخبطوا فيه بين ضلالة وهدى، وتلمسوا حقيقة بين رشاد وهوى، واستنطقوا الآثار والأسفار، واستفسروا الأعصر والأمصار فما ظفروا بعد كل ذلك بما يشفي عليلا أو يبرد لهم غليلا، والنسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم، التي نقل منها هذا الإنجيل إنما هي نسخة ايطالية في مكتبة بلاط "فينا" وهي تعد من أنفس الذخائر والآثار التاريخية فيها؛ تقع في مائتين وخمس وعشرين صحيفة سميكة مجلدة بصفيحتين رقيقتين من المقوى يغطيها جلدان لونهما أدكن ضارب إلى الصفرة النحاسية، ويحيط بهما على الحوافي الأربع خطان مذهبان وفي مركز الجلد نقش بارز عطل من التذهيب تحيط به حافة مزدوجة من نقوش ذهبية متباينة الأشكال... إلى أن قال رحمه الله : وأول من عثر على النسخة الايطالية ممن لم يعف التاريخ أثرهم، ولم تدرس الأيام ذكرهم هو " كريمر " أحد مستشاري ملك روسيا وكان مقيماً وقتئذ في أمستردام فأخذها سنة - ١٧٠٩ - من مكتبة أحد مشاهير وجهاء المدينة المذكورة، فأقرضها كريمر طولند، ثم أهداها بعد ذلك بأربع سنوات إلى البرنس ايوجين ساغوري...، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة برنس إلى مكتبة البلاط الملكي في "فينا" حيث لاتزال هناك ...ثم قال الدكتور سعادة : إنه وجد في أوائل القرن الثامن نسخة أخرى إسبانية تقع في مائتين واثنين وعشرين فصلا وأربعمائة وعشرين صحيفة، وبعد اعتوار الأيدي عليها وصلت إلى الدكتور منكهوس أحد أعضاء كلية الملكة في اكسفرد فنقلها إلى الإنكليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤ إلى الدكتور هويت أحد مشاهير الأساتذة....

ثم قال الدكتور سعادة : ولقد أشاد الدكتور هويت المنوه عنه في إحدى الخطب التي كان يلقيها على الطلبة إلى هذه النسخة حيث استشهد ببعض الشذرات منها. ولقد طالعت هذه الشذرات وقابلتها بالترجمة الإنكليزية المنقولة من النسخة الإيطالية الموجودة الآن في مكتبة بلاط فينا فوجدت الإسبانية ترجمة حرفية من تلك، ولم أرَ بينهما فرقاً يستحق الذكر...

ثم نقل سعادة عن من نقلوا كيفية العثور على النسخة الإيطالية ومن عثر عليها :

إن من اكتشف النسخة الايطالية هو راهب لاتيني يسمى "فرامرينو" قالوا قال "فرامرينو" إنه عثر على رسائل لايرينايوس، وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولص الرسول، وأن ايرينايوس أسند تنديده هذا إلى انجيل القديس برنابا، فأصبح من ذلك الحين الراهب "فرامرينو" المشار إليه شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل، واتفق أنه أصبح حينا من الدهر مقرباً من البابا سكتو الخامس فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا فران الكرى على جفان قداسته فأحب مرينو أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الكتاب الإنجيل نفسه، فكاد أن يطير فرحاً من هذا الاكتشاف، نخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد ردنيه ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالإنصراف حاملاً ذلك الكنز معه، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم، فاعتنق على أثر ذلك الدين الاسلامي" .

ثم قال الدكتور سعادة : هذه هي رواية الراهب فرامرينو على ما هو مدون في مقدمة النسخة الإسبانية كما رواها المستشرق سابل في مقدمة له للقرآن الكريم" وبعد إطالة من استعراضات : ذكر الدكتور سعادة : "إنه يذكر التاريخ أمراً أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على أريكة البابوية سنة ـ ٤٩٢ ـ م يعدد فيه

أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى "انجيل برنابا" هـذا ونكتفي من مقدمـة مترجم انجيل برنابا الأستاذ الدكتور خليل سعادة بهذا القدر لننتقل إلى شيء من مقدمة ناشر الترجمة العربية ألا وهو الأستاذ محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار رحمه الله .

قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى عيسى المؤيد بروح الله، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين أما بعد... فإننا نرى أن مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على أنه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وأن رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل، ورفضوا الباقي، فالمقلدون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث، وسيكون ذلك شأن أمثالهم إلى ما شاء الله، وأما من يحب العلم ويجتنب التقليد من كل أمة فهو يود إذا أراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة، ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أمرها، ويبني ترجيح بعضها على بعض بعد المقابلة والتنظير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وأن لم تظهر لرجال الكنيسة، ولو بقيت تلك الأناجيل كلها لكانت أغزر ينابيع التاريخ في بابها ما قبل منها أصلاً للدين وما لم يقبل، ولرأيت من علماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطريق العلم الحديث المصون بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والإرادة مالا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها.

إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحد، وهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليتم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الأنبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يقتضيه استعدادهم، وإنما كثرت الأناجيل

لأن كل من كتب سيرته عليه السلام سماها انجيلا لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس، ومن تلك الأناجيل " إنجيل برنابا " .

وبرنابا حواري من أنصار عيسى عليه السلام الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل، صحبه بولص زمانا، بل كان هو الذي عرف التلاميذ ببولص بعدما اهتدى "بولص" ورجع إلى أورشليم... إلى أن قال رحمه الله : لم نقف ذكراً لإنجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره.. البابا جلاسيوس" الأول في بيان قائمة الكتب التي تحرم قراءتها، فقد جاء في ضمنها إنجيل برنابا ، وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بعثة نبينا ﷺ... إلى أن قال رحمه الله : مرت القرون، وتعاقبت الأجيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الإنجيل حتى عثروا في أوربا على نسخة منه منذ مائتي سنة فعدوها كنزاً ثميناً، ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات التعصب والجهل لما ظهرت، وأنَّى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور... ثم بعد أن أطال في البحث والموازنة قال رحمه الله : بقي أمر يستنكره الباحثون في هذا الانجيل بحثا علمياً لا دينياً أشد الاستنكار وهو تصريحه باسم " النبي محمد " عليه الصلاة والسلام قائلين : لا يعقل أن يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام، إذا المعهود في البشارات أن تكون بالكنايات والاشارات، والعريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي، وقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة انكليزي إنه رأى في دار كتب البابوية في "الفاتيكان" نسخة من الانجيل مكتوبة بالقلب الحميري قبل بعثة النبي ﷺ، وفيها يقول المسيح : ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ وذلك موافق لنص القرآن بالحرف، ولكن لم ينقل أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الأناجيل التي فيها البشارات الصريحة، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن إنجيل برنابا وغيره " انتهى .

ما أردنا نقله من مقدمة ناشر انجيل برنابا صاحب مطبعة ومجلة المنار الاستاذ محمد رشيد رضا الحسيني رحمه الله .

نقول : إن الذي يقر كنايات البشارات وإشاراتها لا يسعه إنكار صريح البشارات، إذ الذي يبشر بالكنايات والإشارات لقادر على البشارة بصريح العبارات، فالاستنكار ليس في مجال العلم، بل إنما هو من أعمال الريب والاسراف في المغالطة، ولا يمكن أن يهتدي المسرف المرتاب قال الله تعالى ﴿ **كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** ﴾ وإذا كانت تلك الكتب التي فيها صريح البشارات لم تصل إلى أيدي المسلمين حتى ينقلوا منها فقد عرف العرب الأميون من أهل الكتابين صريح اسم النبي محمد صلى الله عليه حتى أن بعضهم سموا أولاده محمداً رجاء أن يكون ابنه ذلك النبي المبشر به ﷺ .

قال الفقيه المحدث أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي في بحث من تسمى بمحمد قبل رسول الله ﷺ : " لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد ﷺ وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز أن يكون ولداً لهم ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع، جد جد الفرزدق الشاعر. والآخر: محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحي ابن كنانة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر : محمد بن حمران بن ربيعة، وكان آباؤهم هؤلاء الثلاثة قد وندوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك " . (١)

وفي كتاب منهاج القاصدين شرح أدب الدنيا والدين : عند ذكره لأكثم بن

(١) الروض الانف للامام السهيلي - ج - ١ - ص ١٧٢ -

صيفي التميمي : أشهر حكماء العرب في الجاهلية أدرك مبعث النبي ﷺ، وقال لقومه : احملوني إليه فقالوا : لا والله، وأنت سن من أسنان العرب، قال فليأته أحدكم فليسأل عن ربه وعما أمر به فأتى حبيش بن أكثم فقال : يا محمد بم بعثك ربك ؟ قال : بعثني بأن أكسر الأصنام. قال : بم أمرك قال : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاءوالمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) فأتى حبيش إلى أبيه فأخبره بكلام النبي ﷺ وتلا عليه الآية الشريفة، فجعل يرددها ويقول : إن هذا الرب كريم يأمر بمحاسن الأخلاق وينهى عن مساويها، ثم جمع إليه بني تميم وقام فيهم خطيباً .

وعمره إذ ذاك مائة وخمس وتسعون سنة.. ثم قال : يا بني تميم لا تحضروا لي سفيها فإن السفيه يوهن من فوقه ويتبب من دونه أي يهلكه، ولا خير في من لاعقل له، إن ابني شاهد هذا الرجل الذي ظهر، بمكة وشافهه، وهو يأمر بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله عز وجل، وقلع الأوثان، وقد عرف ذو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وإن أحق الناس بمعاونته لأنتم، فإن كان الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم، وإن كان باطلاً كنتم أحق من كتم وستر وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسمى ابنه محمداً فكونوا في أمره أولاً ولا تكونوا آخراً. وأتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين، والله إن هذا الذي يدعو إليه لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق العرب حسناً فأطيعوا أمري، فمن سبق فاز ومن تأخر ندم... الخ [1] هذا وإليك مقدمة برنابا الحواري رحمه الله ورضي عنه لانجيله مع الفصل الأخير لتكملة التعريف بذلك الانجيل .

(١) منهاج القاصدين شرح أدب الدنيا والدين ص ـ ٣٢٠ ـ

فصل " مقدمة إنجيل برنابا "

١- برنابا رسول يسوع الناصري المسمى بالمسيح يتمنى لجميع سكان الأُرض سلاما وعزاء .

٢- أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى .

٣ - مبشرين بتعليمِ شديدِ الكفر .

٤ - داعين المسيح ابن الله .

٥ - ورافعين الختان الذي أمر به الله دائماً..

٦- مجوزين أكل لحم نجس .

٧ - الذين ضلل في عدادهم ايضاً بولص الذي "لا نتكلم عنه إلا مع الأسى .

٨ - وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله .

٩ - وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما كتبته لتخلصوا خلاصاً أبدياً .

١٠ - وليكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر. آمين... هذه مقدمة برنابا لإنجيله وإليك الفصل الأخير منه وهو :

الفصل الثاني والعشرون بعد المائتين

١ ـ وبعد أن انطلق اليسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة. ٢ ـ أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً. ٣ ـ فإن فريقا من الأشرار المدعين إنهم تلاميذ بشّروا بأن يسوع مات ولم يقم. وآخرون بشّروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام، وآخرون بشّروا ولا يزالون يبشّرون بأن يسوع هو ابن الله، وقد خدع في عدادهم بولس. ٤ ـ أما نحن فإنما نبشّر بما كتبت الذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله. آمين هذا هو الفصل الأخير من إنجيل برنابا .

وهذا بعض ما ورد في إنجيل برنابا من ذكر نبينا محمد ﷺ، وقد وضعنا عناوين للنقاط المذكورة ثم نقلنا من الإنجيل وذكرنا الفصل الوارد فيه النص، ورقم الإصحاح من الفصل فإليك :

كون روحه ﷺ اول مخلوق، ولأجله خلق العالم

في الفصل التاسع والثلاثين : ١٤ـ فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها " لا إله إلا الله محمد رسول الله ". ١٥ـ ففتح حينئذ آدم فاه وقال : " أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني. ١٦ـ ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمة "محمد رسول الله" ؟. ١٧ـ فأجاب الله "مرحباً بك يا عبدي آدم. ١٨ـ وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت. ١٩ـ وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة. ٢٠ـ وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء. ٢١ـ الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم. ٢٢ـ الذي كانت نفسه موضوعة في ماء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً " .

في الفصل الثاني والثمانين : ١٦ ـ أجاب يسوع إني حقاً أرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص، ولكن سيأتي بعدي "مسيا" ـ فسر بمعنى الرسول ـ المرسل من الله لكل العالم الذي لأجله خلق الله العالم، وحينئذ يُسجَد لله في كل العالم، وتُنال الرحمة...

وورد في الفصل السادس والتسعين : ١١ـ حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله. ١٢ـ الذي سيأتي من الجنوب بقوة، وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام. ١٣ـ وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر. ١٤ـ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به .

وفي الفصل السابع والتسعين : ١ ـ ومع أني لست مستحقاً أن أحل سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه .

عموم رسالته عليه الصلاة والسلام، وأخذ الأنبياء منه، وإنه خاتم النبيين

في الفصل السابع والتسعين حيث سأله عليه السلام الكاهن : أيأتي بعده نبي ؟، فأجاب يسوع " لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله .

وفي فصل التسعين : ٣ ـ الايمان خاتم يختم به مختاريه، وهو خاتم أعطاه لرسوله الذي أخذ كل مختار الايمان على يديه، فالإيمان واحد كما أن الله واحد، لذلك لما خلق الله قبل كل شيء رسوله وهبه قبل كل شيء الايمان الذي هو بمثابة صورة الله... إلى آخره فقوله " الذي أخذ كل مختار الإيمان على يديه هو صريح في الباب وفي الفصل الرابع والأربعين : ١٩ـ لذلك أقول لكم أن رسول الله بهاء يَسُرُّ كل ما صنع الله تقريباً. ٢٠ـ لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة. ٢١ـ روح الحكمة والقوة ـ ٢٢ـ روح الخوف والمحبة. ٢٣ـ روح

التبصر والاعتدال. ٢٤ـ مزدان بروح المحبة والرحمة . ٢٥ـ روح العدل والتقوى. ٢٦ـ روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه. ٢٧ـ ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . ٢٨ـ صدقوني إني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي. ٢٩ـ لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ٣٠ـ ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً يا محمد ليكن الله معك، وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك. ٣١ـ لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله .

وفي الفصل الثالث والأربعين : ١٣ـ الحق أقول لكم أن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله. ١٤ـ ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه. ١٥ـ ولكن رسول الله متى جاء يعطيه ما هو بمثابة خاتم يده. ١٦ـ فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون .

وفي الفصل الثاني والأربعين : ١٣ـ أجاب يسوع "إن الآيات التي يفعلها الله على يدي يظهر أني أتكلم بما يريد الله. ١٤ـ ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه. ١٥ـ لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيّا الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية .

توسل آدم عليه السلام به عليه الصلاة والسلام

في الفصل التاسع والثلاثين : ١٤ـ فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة.. إلى آخر ما نقلناه في بحث كون روحه عليه الصلاة والسلام أول مخلوق ـ راجع ـ

وفي الفصل الحادي والأربعين : ٢٩ـ فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل

من الفردوس. ٣٠ـ فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ٣١ـ فبكى عند ذلك وقال : " أيها الابن عسى أن يريد أن تأتي سريعاً وتخلصنا من هذا الشقاء " .

كونه عليه الصلاة والسلام دعـوة ابراهيـم عليـه السلام والمـوعـود بـه

في الفصل الثامن بعد المائتين : ٧ـ الحق أقول إن ابن ابراهيم هو اسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض .

وفي الفصل السابع والتسعين : ٤ـ فقـال حينئـذ يسوع : " وإن كلامهم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور . ٥ـ ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل ريب كاذب فيَّ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره، لأنه هكذا وعد الله أبانـا إبراهيم. ٦ـ وإن ما يعزيني : هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحا " .

بيـان انه هو الموعود به في كتاب موسى

في الفصل السادس والتسعين : ٣ـ أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مسيّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله منا، وسيأتي برحمة الله. ٤ـ لذلك أرجو أن تقول الحق هل أنت مسيّا الله الذي ننتظره ؟ . ٥ـ أجاب يسوع "حقا أن الله وعد هكذا، ولكني لست هو، لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي .

كون عيسى عليه السلام ممهداً لرسالته ﷺ
وامتنانه بدينه وتوسله به عليه الصلاة والسلام

في الفصل السادس والثلاثين، من الاصحاح ـ ٦ ـ قد جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي، لأن الله يريد ذلك حتى أهيء طريقه :

في الفصل الثاني والسبعين : ١٠ ـ أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيء الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم .

وفي الفصل الثاني والعشرين بعد المائة : ١٦ـ ثم رفع يده وصلى قائلاً : أيها الرب الإله القديم الرحيم الذي خلقتنا نحن عبيدك برحمتك ومنحتنا مرتبة البشر ودين رسولك الحقيقي. ١٧ـ إننا نشكرك على كل إنعاماتك. ١٨ـ ونود أن نعبدك وحدك كل أيام حياتنا. ١٩ـ نادبين خطايانا. ٢٠ـ مصلين متصدقين. ٢١ـ صائمين ومطالعين كلمتك. ٢٢ـ مثقفين الذين يجهلون مشيئتك. ٢٣ـ مكابدين الآلام من العالم حباً فيك. ٢٤ـ وباذلين نفسنا للموت خدمة لك. ٢٥ـ فنجنا أنت يا رب من الشيطان، ومن الجسد ومن العالم. ١٦ـ كما نجيت مصطفاك إكراماً لنفسك وإكراماً لرسولك الذي لأجله خلقتنا، وإكراماً لكل قديسيك وأنبيائك .

كونه عليه الصلاة والسلام الرحمة المهداة

الفصل السادس والستون بعد المائة : ٧ـ أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم : ٨ـ أجاب يسوع بابتهاج قلب : "إنه محمد رسول الله". ٦ـ ومتى جاء إلى العالم سيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها ـ

١٠- كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمراً بعد انقطاع المطر زماناً طويلاً .
١١- فهو غمامة بيضاء ملأى بالرحمة، وهي رحمة ينثرها الله رذاذاً على المؤمنين كالغيث .

كونه عليه الصلاة والسلام أوّل من يبعث يوم القيامة

الفصل الرابع والخمسون : ١- فمتى مرت هذه العلامات تغشي العالم ظلمة أربعين سنة ليس فيها من حي إلا الله وحده الذي له الإكرام والمجد إلى الأبد . ٢- ومتى مرت الأربعون سنة يحيى الله رسوله الذي سيطلع أيضاً كالشمس بيد أنه متألق كألف شمس. ٩- ثم يحيى الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون : اذكرنا يا محمد. ١٢- ثم يحيى الله بعد ذلك كل مخلوق فتعود إلى وجودها الأول .

الشفاعة العظمى وشفاعته للمذنبين من امته

أ - الشفاعة العظمى :

الفصل الخامس والخمسون، وهو ثمان وثلاثون آية، أو إصحاحاً، أو فقرة - على حسب التعبيرات، ننقل بعض الشيء تحاشيا عن الإطالة حيث فيما ننقله الكفاية :

٦- ويكلم اللهُ رسوله قائلاً" مرحباً بك يا عبدي الأمين . ١٧- ما تريد تنل كل شيء . ١٨- فيجيب رسول الله "يا رب أذكر أنك لما خلقتني قلت : أنك أردت أن تخلق العالم والجنة والناس حبا في ليمجدوك بي أنا عبدك. ١٩- لذلك أضرع إليك أيها الرب الاله الرحيم العادل أن تذكر وعدك لعبدك. ٣١- لذلك يسجد كل مخلوق لله قائلاً : لك وحدك اللّهم المجد والإكرام لأنك وهبتنا الرسول .

ب ـ شفاعتـه للمذنبيـن من امتـه :

في الفصل السادس والثلاثين بعد المائة : ١٨ـ وبعد هذه السنين يجيء الملاك جبريل إلى الجحيم ويسمعهم يقولون "يا محمد أين وعدك لنا أن من كان على دينك لا يمكث في الجحيم إلى الأبد. ٢١ـ فيجيب الله أطلب ما تريد يا خليلي لأني أهبك كل ما تطلب .

انتهى ما أردنا نقله من انجيل برنابا ولا يمكن أن يكون من المصادفة أن أضافني الليلة نصراني، ولم يضفني نصراني طول عمري غيره (١) فقد كان عندي في حجرة الضيوف، وانجيل برنابا أمامي، وأنا أنقل منه هذه المواضيع وهو يتكلم ولا يدري ما هو هذا الكتاب الذي بين يدي، فتكلم عن الدين، فقلت له : (إن لكم كتباً كثيرة ولكنكم لا تستفيدون منها، فقال : إن عندنا الكهان ـ وهذا التعبير له ـ إذا حرّموا قراءة كتاب مالا نقرؤه. قلت له : وبهذه الطريقة تركتم من بعض الأناجيل، فقال : إنني سمعت أنه يوجد إنجيل واحد هـو " انجيـل برنابا " قد كتب الكاتب برنابا كلمة غير مقبولة فيها، وهو في حالة النوم والغفلة دون أن يدري ماذا يكتب فقلت له : هذا انجيل برنابا الذي هو أمامي فهل تريد أن تطلع على بعض ما فيه لكي ترى هل هي كلمة واحدة أم فصول وفصول ؟ أو هل يمكن أن يكون كل هذا بهذا الترتيب في تلك العصور الغابرة إنما كتبت في حالة نوم أو غفلة ؟! ، فبعد أن أطلع على شيء مما فيه تنفس الصعداء وقال : إنما نحن نتبع ما نسمع من كهاننا ـ بتعبيره هو ـ وكل سالك على طريقه، فتركته حيث وقف عند جدار التقليد الأعمى الذي لايجدي معه شيء .

---

(١) كتابة المسودة كانت عام ـ ١٩٨١ م ـ والآن أبيض هذه الصحائف في عام ـ ١٩٩٥ ـ لم يضفني بعد ذلك نصراني .

فصل في حب رسول الله ﷺ وإنه من أصول الدين

إعلم أن حب رسول الله ﷺ هو الدعامة التي يقوم عليها بناء الإيمان والاسلام، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأبناؤُكُمْ وإخوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتى يَأْتِيَ اللَّهِ بِأَمرِهِ ﴾ . سورة التوبة - ٢٤ -

أخرج القاضي عياض رحمه الله عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "، وقال عن أنس رضي الله عنه " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" .

وحبه ﷺ من أُنجح الوسائل للنجاة والزلفى في الآخرة أُخرج القاضي عياض رحمه الله عن أنس رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال " ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت من كثير صلاة، ولا صوم، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال : "أنت مع من أحببت" وقال رحمه الله : وفي حديث أنس "من أحبني كان معي في الجنة" فلذلك كلما علا مقام العبد في الايمان يعلو مقامه في حب رسول الله ﷺ، فالصحابة رضي الله عنهم هم أئمة الناس وأولهم في حب المصطفى ﷺ، فحياتهم وسيرتهم رضي الله تعالى عنهم كلها تعبير حي عن حبهم له ﷺ :

لما أخرج أهل مكة زيد بن دثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك يضرب

عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً - ﷺ وقال القاضي عياض : قال ابن إسحاق : إن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ، فقالت ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين، قالت أرنيه حتى انظر إليه، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل، قال : وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ .

وعلى سنة الصحابة رضي الله عنهم درج السلف رحمهم الله قال القاضي عياض رحمه الله قال سهل رحمه الله : من لم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع الأحوال، ولا يرى نفسه في ملكه ﷺ لايذوق حلاوة سنته، لأن النبي ﷺ قال" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه... الحديث وأخرج القاضي عياض رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال "من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله".

فصل في علامات محبته

ذكر العلماء رضي الله عنهم الكثير منها : وأولها وأهمها : الاقتداء به واستعمال سنته، وإتباع أقواله وأفعاله، وإمتثال أوامره وإجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمنشط والمكره لأن ذلك هو طريق الوصول إلى حب الله سبحانه وتعالى، وحب الله سبحانه هو أهم محاب رسول الله ﷺ وأهم موجبات حبه قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ آل عمران - ٣١ - ولا شك أن ذلك يدعو إلى إيثار الشرع والحض عليه على هوى النفس وموافقة الشهوة، وإلى إسخاط العباد في رضى الله تعالى .

ومنها حب آله وأصحابه، فقد قال عليه الصلاة والسلام في الحَسَنَيْنِ رضي الله عنهما " من أحبهما فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، وقال " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد أذى الله، ومن أذى الله يوشك أن يأخذه، وقال عليه الصلاة والسلام في فاطمة رضي الله عنها " إنها بضعة مني يغضبني ما يغضبها " وقال لعائشة في أسامة بن زيد رضي الله عنهم "أحبيه فإني أحبه"، وقال عليه الصلاة والسلام "آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم" .

ومنها : بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه قال الله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنونَ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ .

ومنها الشفقة على أمته، والنصح لهم والسعي في مصالحهم ورفع المضار عنهم .

ومنها : كثرة ذكره ﷺ، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره وكثرة ذكره ﷺ بكثرة الصلاة عليه ﷺ والمدح والثناء عليه، ﷺ (١) .

فصل في الصلاة على رسول الله ﷺ وفضل الفقر الصحيح :

إن الصلاة على رسول الله ﷺ أهم الوسائل لاخراج العبد من الظلمات إلى النور بفضل الله سبحانه. روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً " وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾ الأحزاب - ٣٤ - .

ولذلك جعل العارفون المربون الصلاة على رسول الله ﷺ، ومدائحه من أهم القوت والغذاء لقلوب السالكين، ولذلك اهتموا بعقد المجالس للصلاة على رسول الله صلى الله عليه، والانشاد في المساجد بمدح رسول الله ﷺ، إمام المنشدين عندهم حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث كان رسول الله ﷺ يضع له المنبر في المسجد ينشد عليه مدح رسول الله ﷺ. ذكر الشعراني رحمه الله : إن شيخه الشيخ نور الدين الشوني الذي قال عنه : "هو أطول أشياخي خدمة خدمته خمساً وثلاثين سنة لم يتغير علي يوماً واحداً " قال : إنه عقد أول مجلس للصلاة على رسول الله ﷺ في مقام سيدي أحمد البدوي في "طندتا" بلد السيد البدوي رضي الله عنه في أول شبابه وكان يجتمع في ذلك المجلس خلق كثير، وكانوا يجلسون فيه بعد صلاة المغرب ليلة الجمعة إلى أن يسلم على المنارة لصلاة الجمعة، ثم إنه رضي الله عنه بعد أن دخل مصر أنشأ في الجامع الأزهر مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ قال الشعراني : وتفرعت عنه مجالس الصلاة على النبي ﷺ على وجه الأرض الآن في الحجاز والشام ومصر والصعيد والاسكندرية، وبلاد الغرب، وبلاد التكروت" (٢) .

---

(١) راجع الشفاء للقاضي عياض - ج - ٢ - ص ١٨ - إلى - ٢٨ -

(٢) راجع الطبقات الكبرى للشعراني - ج - ٢ - من ١٧١ إلى ١٧٣ .

ومن علامات حب رسول الله ﷺ ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ : والله إني لأحبك ثلاث مرات، فقال : " إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه". قال النووي رحمه الله " التجفاف شيء يلبسه الفرس ليتقى به الاذى وقد يلبسه الإنسان " .

يقول الفقير : وفي التعبير النبوي ﷺ معنى دقيق : هو إن لباس التجفاف لاتقاء الأذى، فإلباس الفقر لمحبي رسول الله ﷺ لاتقاء الأذى، ذلك، لأن محب رسول الله هو محب لله سبحانه، والله سبحانه يحمي أحبابه من المضار قال رسول الله ﷺ "إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب" وعلامة أن يكون المؤمن من المحبين استعداده لذلك اللباس، ومعرفة أن ذلك فضل من الله سبحانه، لا أنه يكون كارها كما قد يكره المريض منع أهله الطعام منه، فمقام المحبين هذا فوق الزهد، وعنهم يقول التاج ابن عطاء الله رضي الله عنه في حكمه "ورود الفاقات أعياد المحبين، ربما وجدت من المزيد في الفاقات مالا تجده في الصوم والصلاة. الفاقات : بسط المواهب، إن أردت بسط المواهب عليك، صحح الفقر والفاقه لديك (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) " اهـ .

ويمكننا أن نفهم تصحيح الفقر مما أخرجه الإمام السهرودي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ "لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين، والفقراء الصُّبُرُ، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة"، فبمقدار الصبر يكون تصحيح الفقر لذلك اعتبر القوم رضي الله عنهم الفقر أساساً للتصوف ، وإنه به قوامه. ولهم رضي الله عنهم تعبيرات في الفقر الصحيح :

سئل الشلبي عن حقيقة الفقر فقال : " الا يستغني بشيء دون الحق " وقال النوري : " نعت الفقير : السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود " .

وقال بعضهم" إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره، كما أن الغني يحترز من الفقر حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد غناه" (١) وقال التاج ابن عطاء الله رحمه الله "في البلايا والفاقات من أسرار الألطاف مالا يفهمه إلا أولو البصائر، ألم تر أن البلايا تخمد النفس، وتذلها، وتدهشها عن طلب حظوظها، ويقع مع البلايا وجود الذلة، ومع الذلة تكون النصرة (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة)" ١هـ .

وذكر رحمه الله عشرة فصول مما يستنير به عقل المؤمن في تحقيق الصبر الذي به يتمكن من تصحيح الفقر (٢) لم ننقل خشية الاطالة .

اللهم صحح كل أحوالنا وأعمالنا وأقوالنا حتى نكون مجلى للطفك ورحمتك وفضلك في جميع الشؤون، واغفر لنا ولوالدينا واشياخنا والمسلمين. فهذا ما مَنَّ الله سبحانه علينا من هذه المقدمة نريد أن نختمها بأبيات لنا سميناها "مولد الفاروقي" أنشدناها عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين من الهجرة النبوية ﷺ، وكنا قد نقرؤها في بعض الموالد حيث أن العادة في مناطقنا قراءة بعض الكتب التي ألفت في قصة مولد رسول الله ﷺ، وإنّها من كثرة تكرارها، قد تمل ومع ذلك قد يوجد في بعضها ما لا أصل له، مع أنها صارت كأنها أداء شيء من الطقوس من غير استفادة من حيث المعنى فكنا نقرأ هذه الأبيات بدلا من قراءة تلك الموالد تعبئة للفراغ ، ثم نتكلم بما يلهم الكريم الحكيم مما يلائم المناسبة والمقام .

اللهم أنعم علينا بنعمة الإخلاص وأدم علينا من نعمائك وآلائك دائماً وأبداً ووفقنا للشكر أنت الوهاب الكريم .

---

(١) راجع عوارف المعارف للامام السهروردي ص - ٦٢-

(٢) راجع التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله من - ٦ - إلى ٢٤ -

مولد الفاروقي

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمنين رَؤُفٌ
رَحِيمٌ ☆ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبيَ اللَّهُ
لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ
رَبُّ العَرْشِ الْعَظِيمِ

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

حَمْدُ رَبيّ بَدْؤُكُلّ مَا يُرادْ ... في الدُّنَا مَعْ مَا يُرادُ في الْمَعَادْ
نَحْمَدُ اللَّهَ عَلى نَعْمائِهِ ... شَاكِرينَ الْفَضْلَ مِنْ آلائِهِ
صَلِّ يَا رَبِّ عَلى خَيْرِ الْبَشَرْ ... فَتْحِ أَنْوارِ الْهدى نُورِ الْغُرَرْ
وَعَلى الآلِ الْمَيَامِينِ الكِرامْ ... وَالصِّحَابِ خَيْرِ قَرْنٍ في الأَنَامْ
مَعْ سَلامٍ دائِمٍ رَبَّ الْوُجُودْ ... جُدْ عَلَيْنَا يَا وَدوُدُ خَيْرَ جُودْ

صلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

- ٢ -

ذِكْرُ ميلادِ الرَّسُوْلِ الْمُفْتَخَرْ ... خَيْرِ نِبراسٍ لأَنْواعِ الْبَشَرْ
فَيْضُ أَنْوارِ الْهُدى أَنْوارُهُ ... سِرُّ أَسْرارِ الْهُدى أَسْرارُهُ
فَتْحُهُ خَيْرُ الْفُتُوحِ لِلْوُجوُدْ ... نوُرُهُ نوُرُ الْهِدايَة لِلصعُود
بَدْ رُكَوْنِ اللَّهِ قَدْ نِلْنَا بِهِ ... أَفْضَلَ الْجاهِ وَذامِنْهُ بِهِ
جَاهُ دينِ اللَّهِ جَاهُ الْمُصْطَفى ... جَاهُ فَخْرِ الْكَوْنِ قَدْ زَالَ الْجَفا
صارَ مِنْ أَنْوارِهِ نوُرٌ تَمامْ ... بِالاِلهِ لِلْكِرامِ فَالأَنَامْ
صَلِّ ربِّ بِالسَّلامِ دائِماً ... لِلْحَبيبِ الْمُصْطَفى نوُرِ السَّمَا

صلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

- ٣ -

إنَّ مِيلاَدَ الرّسولِ قَدْ بَدَا لِلأْنَامِ صَارَ نوُراً وَهُدى
باتَ كَوْنُ اللّهِ مِنْ أَنوارِهِ نوُرَ أَضْواءِ لَدى إِضْوائِهِ
نُورُ أَضْواءِ النَّبِيِّ المُصْطَفى لَيْسَ يُخْفى أترُكُوا دَرْبَ الجَفا
حارتِ الأَفْكارُ في إِدْراكِهِ فَهْوَ مِفْتَاحُ الْعَطايَا وَبِهِ
نَالَ مَنْ نَالَ إلى كُلِّ المُرادُ أَوَّلَ الدُّنْيا إلى يَوْمِ التّنادُ
فَالصَّلاةُ والتَّحايا الزَّاكِيَاتْ لِلْحَبِيبِ فَتْحِ أَنْوارِ الصِّفَاتْ

صلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

- ٤ -

مَوْلِدُ المُخْتارِ خَتْمِ المُرْسَلِينْ أَسْفَرَتْ عَنْ رَحْمَةٍ لِلْعَالِمِينْ
مَكَّةٌ نَالَتْ بِهِ فَخْرَ الْفَخَرْ أَنْ بَدا فيها النَّبِيُّ المُفْتَخَرْ
عَاشَ فيها بِالْهَنا ثُمَّ الْوَفا ثُمَّ منها هَاجَرَ لِلاِصْطِفَا
إصْطَفَاهَ اللّهُ لِلدّينِ المُبينْ وَارْتَضَاهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينْ
احْجَبَ الْغَيُّ وَأَهْواءُ الثَّرى حائِرَ الدُّنْيا الدَّنِيَّة لا يَرى
يا وُحُوشَ الدَّهرِ يا حَمْقى الوُجُودْ يا غَرُوراً لا يَرى دارَ الخُلُودْ
لَيْسَ هذا النّوُرُ نُوراً يَخْتَفي بل تَبَدّا وَلَدى الأَمْرِ اصْطُفي

دَعْوَةُ اللَّهِ إِلى دارِ السَّلامْ فَهَلُمُّوا يا أَحِبَّائي الْكِرامْ
فَعَلَيْهِ اللَّه صَلّى بِالسَّلامْ وَعَلى الآلِ الْكِرام بالدَّوامْ

صلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

- ٥ -

إنَّ لِلْقُرْآنِ أَسْراراً بَدَتْ لِلْوَرى لَكِنْ قُلوبٌ أعْمِيَتْ
مِنْ ظَلامِ الشَّرِّ لاحِقاً تَرى لَوْلا آياتِ خَلاَّقِ الْوَرى
هَلْ يَرَوْنَ أَنْ يَكونَ ذا الْوُجودْ دونَ خَلاَّقٍ هَيَا أَهْلَ الجُحُودْ
نَكْبَةُ النَّاسِ حَصيدُ فِعْلِهِمْ فَالْقُلوبُ أَظْلِمَتْ مِنْ وِزْرِهِمْ
قُسِّمُوا تَقْسيمَ أَهْواء فَهُمْ في الغُرورِ وَالْهَوى تاهوُا فَهُمْ
لا يَرَوْنَ الْفَضْلَ إِلاَّ - ما - لَهُمْ طَوَّلُوا آمَالَهُمْ أَنَّى لَهُمْ
يَا رَفيقَ الْخَيْرِ دَعْهُمْ وَالْهَوى هَيِّءِ الذُّخرَ فَقَدْ حَانَ الثَّوى
تُبْ إلى اللَّهِ فَقَدْ آنَ الرَّحيلْ مُصْبِحاً أَوْ مُمْسِياً يَأْتي التَّزيلْ
ثَبِّتِ الأَفْكَارَ في طُرَقِ الْفَلاَحْ أَكْثِرِ الذِّكْرَ فَذا دَرْبُ النَّجاحْ
دَائِماً صَلِّ عَلى خَيْرِ الْبَشَرْ قَائِدِ الْغُرِّ الْكِرامِ في الحَشِرْ
بِالصَّلاةِ قَدْ تَنَالُ حُبَّهُ أَلْزِمَنَّ الْحَقَّ وَ اسْلُكْ دَرْبَهُ
يا إِلهي صَلِّ رَبِّ بالسَّلامْ لِلشَّفيعِ الْمُجْتَبى نورِ الظَّلامْ

صَلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

- ٦ -

إنَّ شَرْعَ اللَّهِ شَرْعٌ لِلْوُجُودْ فَهْوَ لِلإِنْسَانِ مِرْقَاةُ الصعود
شِرعَةٌ إخْتَارَهَا رَبُّ الأَنَامْ حُكْمُهُ بَاقٍ لإِسْعَادِ الأَنَامْ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أُنْزِلَتْ حِكْمَةُ الْخَلاَّقِ حقاً أَحكَمَتْ
يا لأَهْواءٍ تَنَمَّتْ بِالْغُرورْ وَالْهَوى مِفْتَاحُ أَبْوابِ الشُّرُورْ
أُسْكِروُا بِالْخَمْرَةِ الشَّنْعاءِ ذا سُمُّ شَيْطَانٍ لَعينٍ فَهُوَ ذا
يُمْلي أَفْكاراً عَلى الأَكْوان مَا غَيْرَ إِفْلاَسِ الْوُجُودِ قَدَّمَا
هَيَّجوُا طُغْيانَ إِفْراطِ الْوَهَمْ وَسَّعُوا في الْعَقْلِ ميدان الْقَدَمْ
لَعْنَةُ اللّه عَلى داعي الْفِتَنْ رَائِجِ الْفَحْشَاءِ وَالأَمْرِ النَّتِنْ
صَلِّ يا رَبِّ عَلى خَيْرِ العِبَادْ دائماً رَبِّ إلى يَوْمِ التَّنَادْ

صلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

- ٧ -

﴿ قيــام ﴾

جاءَنَا النّورُ فَقومُوا بِالْوَفَا مَرْحَباً أَهْلاً بِنوُرِ الْمُصْطَفى
مَرْحَباً يا نوُرَ أَنْوارِ الْقُلوبْ مَرْحَباً مِصْبَاحَ مِشْكَاةِ الغُيُوبْ
مَرْحَباً يا سِرَّ أَسْرارِ الإِلَهْ مَرْحَباً يا خَيْرَ نوُرٍ لِهُداهْ

مَرْحَباً يا مَنْ تَسامَا في المَقَامْ		مَرْحَباً يا مَنْ غَدا شَمْسَ الكِرامْ
مَرْحَباً أَهْلاً وسَهْلاً مَرْحَبا		مَرْحَباً يا صاحِبَ نوْرِ القُبَا
مَرْحَباً يا عُمْدَةَ الأَكْوانِ يَا		أَحْمَدُ المُخْتَارُ مِفْتَاحَ الضِيَا
مَرْحَباً طه الوُجودِ يا حَبيبْ		مَرْحَباً خَيْرَ شَفيعٍ وَطَبيبْ
مَرْحَباً يا كاشِفَ الأَنوارِ يا		مُجْتَبى يا مَنْ أَنادي بِالْعَيَا
لَسْتُ في هذا المَدَى الأَبِكَا		يا شَفيعَ كَلِّ مَنْ نَادىَ بِكَا
فَاغِثْني يا حَبيبَ اللَّهِ يَا		مُسْعِفَ المَلْهوُفِ نوُرَ الأَصْفِيَا
الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في الخِتَامْ		دائماً رَبِ عَلى خَيْرِ الأَنَامْ

صلوا عليه وسلموا تسليما = حتى تنالوا جنة ونعيما

* * *

﴿ دعاء المولد ﴾

بسمَ الله الرّحمن الرّحيم

* الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينْ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعينْ .

* اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَةِ نَبيكَ الْمؤْمِنينَ بِوَعْدِكَ وَوَعيدِكَ وَأَفِضْ عَلَيْنا وابِلَ رَحْمَتِكَ واَشْمِلْنَا بِسِتَّارِ مَغْفِرَتِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ حِسابِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحيمْ .

* اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ الْمُجْتَمِعينَ عَلى ذِكْرِكَ اَلذِّين تَحُفُّهُمْ مَلائِكَتُكَ وَارْزُقْنَا دَوامَ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا ولوالِدينَا وَلأَصْحَاب الْحُقُوقِ عَلَيْنَا، وَلأَقَارِبنَا وَالْجَمَاعَةِ الْحَاضِرِينَ وَوالِديهمْ وَلِجَميعِ الْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمينَ . آمين .

وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالى عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينْ .

الفاتحـــة

" نظمت هذه الأبيات في شهر رمضان المبارك عام ألف وثلاثمائة وثلاثةٍ وثمانين للهجرة النبوية ﷺ " .

وحيث أن هذه المنظومة نظمت في حالة خاصة في ذلك التاريخ أحببنا أن نثبت هنا كذلك بعض أبيات أو قصائد مما أنشدنا كذلك في تلك الظروف والحالات نكتبها بعناوينها مع بيان تاريخ نظمها والله المعين وعليه التوكل في جميع الأوقات والحالات :

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ حب الله ﴾ نظمت في - ٢٨ - شوال ١٣٨٣ هـ :

بِحَبِّ اللّٰهِ يَاسَاداتي مَدْحاً بِالْعِبَاراتِ
لِنُورِ الْمُصْطَفَى في حَوْزَةِ سَرْدِ الاِشَاراتِ
لَفي قَلْبي عَلى دَوْرِ الْجِهازِ مَيْلُ مَوْلاَيَ
آمينِ اللّٰهِ في الْكَوْنِ مُحَمَّدْ مَجْدِ سَاداتي
فنـاءُ بَـلْ بَقـاءٌ في هُيـامِ الْمُصْطَفـى الْهَـادي
فَنوُرُ الْحُبِّ نِبْراسُ السُّلُوكِ وَالْمَقامَاتِ
هَلُمّوُا يا أَوِدّاءَ الإِلَٰه يَا كِرامَ الْحَيْ
لِنَشْرِطَيِّ أَفْكَارِ لإِحْرازِ الْبِشَاراتِ

لَمَدْحُ الْمُصْطَفى يَسْري عَلى وَلْهَانِ قَلْبي في
دَيَاجِيرِ مَتاهي الْحَيْرَةِ في وَسْطِ وَيْلاتي
لَمَدْحُ الْمُصْطَفى مَاءُ الْحَيَاةِ في طَرِيقِ الرُوحْ
إلى وَصْلِ الأَشِعَّاتِ لَدى طَرْدِ الإِسَاءاتِ
أَيَا أَحْمَدْ رَسُوْلَ اللّٰهْ مُحَمَّدْ يَا حَبِيبَ اللّٰهْ
أَنَا اللاَّجي أَنَا الْمِسكينْ فَأَنْتَ في مُلِمَّاتي
اِلٰهي صَلِّ رَبِّ عَدَّ ذَرَّاتٍ بِلاَ غَايَة
عَلَيْهِ وَكَذا الآلِ وَاَصْحَابِهْ وَسَاداتي

* * *

٢ ـ مناجاة لرسول الله ﷺ / شعبان ١٣٨٣ :

رُوحُ الوُجُودِ وَبَدْرَ الْكَوْنِ سَيِّدُنَا
نُورُ الهِدايَةِ عَامُودُ الْمُهِمَّاتِ
يَا مُصْطَفى يَا حَبِيبَ اللّٰهِ سَيِّدَنَا
يَا مُجْتَبى يَا أَمِينَ اللّٰهِ بِالذَّاتِ

يَا مَنْ تَخَلَّقْتَ لِلْحَاجَاتِ سَيِّدَنَا

يَا مَنْ تَدارَكْتَ في مَوْجِ الْمُصيبَاتِ

يَا مَنْ تَسَابَقَ فيهِ الْفَضْلُ سَيِّدَنَا

يَا مَنْ تَكَرَّمْتَ مِنْ فَضْلِ الْكرامَاتِ

يَا مَنْ تَحَدَّثْتَ بِالْخَيْراتِ سَيِّدَنَا

يَا مَنْ تَعَالَيْتَ في أعْلى الْمَقَامَات

يا مَنْ أُنَاديهِ مِنْ نَاءٍ بِسَيِّدَنَا

هَلَكْتُ يَا غَوْثي في أَسْرِ الْمَسَاءاتِ

يا ذا الشَّهامَةِ يَا ذا الْمَجْدِ سَيِّدنَا

أَيَا رَؤُوفُ فَذُلّي فَوْقَ ذَلاَّتي

لَطَارِقٌ في صَباحِ الْخَيْرِ سَيِّدنَا

يُنَادي بِالْبَابِ حَاجَاتي وحَاجَاتي

حاشَاكَ نَهْرُ خجيلِ الْبَابِ سَيِّدَنَا

أيا رَحِيمُ فَمَا لي غَيْرُ صَيْحاتي

• • •

هـ

ثم بعدُ، نَظَمْنَا هذا البيت لِيكرر عند كل بيت في الانشاد

يَا رَبِ صَلِّ عَلى المُخْتَارِ سَيِّدِنَا   مِقْدارَ وَزْنِ السَّمَا أعْدَادَ ذرات

* * *

٣ ـ استغاثة ـ ١٣ ـ

شعبان ١٣٨٣ :

اَسْتَغيثُ بِكَ يا مَوْلاَيَ في كُلِّ الحُدُودْ

أَسْتَجيرُ بكَ يَا مَوْلاَيَ مِنْ كُلِّ السُّدُودْ

لَكَ يا مَوْلاَيَ فَضْلٌ عَمَّ أَنْواعَ الْوُجوُدْ

لَكَ يَا مَوْلاَيَ جوُدٌ قَدْ أَضَاءَ كُلَّ جوُدْ

لَكَ يَا مَوْلاَيَ حُكْمٌ قَدْ عَلاَ سَعْدَ السُّعوُدْ

بِكَ يَا مَوْلاَيَ حَقّاً الْهُبوُطُ وَالصُّعوُدْ

في حِمَاكَ قَدْ حُويتُ يا اِلهَي بِالرُّقوُدْ

لَوْعَةُ الأَفْكارِ في فَضْلِ سَمَاكَ في الْجُموُدْ

أَنْتَ مَوْلايَ فَلا شَيءَ أَرى لي غَيْرَ ذَا

نِعْمَ هَذا الذُّخْرُ مِنْ بَيْنِ الذَّخائِرِ يَا وَدوُدْ

سَاعَةُ الانْعَامُ في ساعَاتِنَا لاَ تُعْرَفُ
دوُنَكَ الاَعْمَارُ مَالي غَيرُ هَذا وَالجُمُوْدْ
فَصَلاةُ اللَّهِ في هَذَا الصَّبَاحِ الخَيِّرِ
لِلْحَبِيبِ المُصْطَفى مِفْتَاحِ تِرْيَاقِ الشُّهُوْدْ

* * *

م

﴿ تتمة، ومذكرة ﴾

إن سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وثمانين كانت سنة حاسمة في سلوكنا في طريق القوم رضي الله عنهم، ذلك حيث أننا بدأنا بسلوك بمطالعة كتب القوم، والعمل بالرياضات على ضوئها في سنة ألف وثلاثمائة واحدى وثمانين تقريباً ففي النصف الأخير من السنة الثالثة والثمانين وردت واردات وأحوال وواقعات، وبسبب عدم المرشد المربي ظهر بعض الاضطراب وعدم الانضباط، ولكن بحمد الله سبحانه وحفظه لم نخرج من ضبط الأوقات وحدود الشرع إلا أنني أعدت صلوات أيام بسبب أنه في حالة قهرية خرجت في ليلة من ليالي الشتاء وأنا ضيف عند أحد الكرماء رحمه الله خرجت حاسر الرأس حافي القدمين أمشي سائحاً هائماً على وجهي إلى أن وقفت آخر الليل في قرية لا أعرفها إلى يومي هذا فدققت باب دار أكرم الله أهلها كما أكرموني، قدَّموا لي التدفئة والطعام وأعطوني حذاء ومحرمة أغطي بها رأسي من غير أن يلحوا علي من أين

أتيت وإلى أين تذهب، وفي اليوم الثالث أتيت إلى أهلي، وكانت الأشواك في رجلي كثيرة من سيري تلك الليلة، ولم أتنبه لها إلا بعد أيام فعلمت بأن وضوئي في تلك الأيام كان غير صحيح بسبب ظهور رؤوس الأشواك في جلد باطن القدم، فنزعت الأشواك وأعدت صلوات تلك الأيام، بسبب تلك الأشواك، فبعد هدوء الحال علمت يقينا بأن السلوك بلا مراقبة مرشد مرَبٍّ خطر جسيم، فوفقني الله سبحانه بأن اطلعت على ما في حواشي الصاوي على تفسير الجلالين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ ما خلاصته : "إن من لم يجد شيخ التربية فليواظب على الصلاة على رسول الله ﷺ فإنها تنوب عن الشيخ بسبب قرب روح المصلي من روح رسول الله ﷺ، وبفضل ذلك القرب العظيم يفوز بالأنفاس القدسية فاتخذت ذلك طريقة لي إلى سنة ألف وثلاثمائة وخمس وتسعين حيث ساقتنا العناية الالهية إلى شيخنا مربي العارفين سيدي الشيخ عبد القادر عيسى الحلبي رحمه الله ففي أول مذاكرة لنا معه بشأن السلوك، وذكر بعض ما جرى علينا قال رحمه الله كلمة لا أعطيها بالدنيا وما فيها وهي قوله "اخلاصك جابك علينا" والحمد لله جرت علىالفقير مع تلك الاضطرابات السلوكية مصائب جمة متراكمة حيث التهبت نيران من الخلافات التي لا أريد ذكرها والتي جرت إلى أن قدمت المحاضرة الطريقية التي نشرناها في ذيل التلويحات التسعة قدمتها إلى المسؤولين حيث طلبوا مني تعريفاً بالطريقة التي أنتمي وأدعو إليها، وفي شدة تلك الحالات السلوكية قصدت زيارة أضرحة بعض الأولياء رحمهم الله فرجعت وإذ ولدي "محمد غياث رحمه الله الذي كان الوحيد لي في ذلك التاريخ قد توفي ثم بعد أيام قليلة والحالات قائمة لازالت توفت والدتي رحمها الله وفوق كل ذلك صرت مرمى لهدف الملامات

داخل الأسرة حيث كان أهل أسرتي يرون بأني أنا السبب في اضطراب الأحوال الاجتماعية عليهم بسبب الخلافات التي أشرنا إليها مع شدة الفاقة وفقر ذات اليد، وإلى تلك الحالات يشير قولنا في المناجاة المحمدية ﷺ :

يا مَنْ تَخَصَّصْتَ لِلْحَاجَاتِ سَيِّدَنَا
يَا مَنْ تَدارَكْتَ في مَوْجِ الْمُصِيبَاتِ

فأعيد أقول الأن :

يا مَنْ تَخَصَّصْتَ لِلْحَاجَاتِ سَيِّدَنَا
يَا مَنْ تَدارَكْتَ في مَوْجِ الْمُصِيبَاتِ

* * *

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد عدد خلقك ومداد كلماتك ورضاء نفسك وزنة عرشك كلما ذكرك الذاكر وكلما غفل عن ذكرك الغافلون وسلم تسليماً كثيرا .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

اليعربية في ٣٠ ذي القعدة ـ ١٤١٥ هـ
في ٢٩ ـ نيسان ١٩٩٥ م